العمل الاجتماعى

تطوع ، عطاء

إعــداد

الشيخ/ منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف الأسبق

للمساجد وشئون القرآن

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى الباحثين عن أفضل استثمار لعمرهم فى هذا المجتمع..

إلى الباحثين عن الخير لأنفسهم والسعادة لمجتمعهم

نقدم هذا البحث رمز حبٍ ووفاءٍ وتقديرٍ

شاكرين لله فضله علينا وعلى الناس أجمعين

«منصور»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

صدق الله العظيم

[**من سورة إبراهيم الآيات** : ٢٤ – ٢٧]

ويقول رسول الله ﷺ:

«على كل مسلم صدقة، فقال قائل: يا رسول الله – أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، فقال الرجل: أرأيت إن لم يستطع؟ فقال ﷺ: يعين ذا الحاجة الملهوف، فقال الرجل: أرأيت إن لم يستطع؟ فقال ﷺ: يأمر بالمعروف أو الخير، فقال الرجل: فإن لم يفعل؟ فقال: يمسك عن الشر فإن له ذلك صدقة» [رواه البخاري ومسلم].

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه. . . . وبعد،

فإن الإسلام فتح باب التطوع لمن أراد الخير لنفسه والسعادة لمجتمعه لأن التطوع هو عمل زائد عن المطلوب من الشخص، فإذا كان فى عمل البر والمودة والمعروف فهو محمود ويسارع الشخص فى فعله، لأن الله سبحانه بين لنا أن العمل سواء بالقول أو الفعل إن كان فى الخير فلقائله وفاعله ومن يعمل به ثواب عظيم وأجر كبير من الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا وثناء من الناس، يقول الله سبحانه: ﴿ **وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾[1] ويقول الله سبحانه ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ** ﴾[2]. وميادين عمل الخير التطوعى متنوعة الأغراض، وله ميادين شتى. وكل شخص يقوم بالتطوع فى ميدان العمل الذى يجيد فيه الأداء وبالقدر الزمنى الذى تسمح به ظروفه. لقول الله تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾[4] وفى الحديث القدسى يقول الله سبحانه: «وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذ بى لأعيذنه[5]. فالتطوع هو عمل إسلامى المبدأ، إنسانى النزعة. ولا يليق بالإنسان أبدًا أن يتطوع فى عمل أو قول يؤدى إلى الشر لأن فاعله والمحرض عليه بالقول مذموم عند الله والناس وملعون على ألسنة الناس وعند الله فى الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة البقرة الآية:١٥٨.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٤.
(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.
(٤) سورة الطلاق الآية: ٧.
(٥) رواه البخارى.

والعطاء هو أن تعطى مما عندك لمن ليس عنده لتساهم بهذا العطاء فى تخفيف العبء عن شخص هو فى حاجة إلى ما تقدمه إليه، يقول الله سبحانه فى بيان هذا ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[1] ويقول سبحانه ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)** ﴾[2] ويقول رسول الله ﷺ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة. ومن يسر على معسر يسر الله له فى الدنيا والآخرة. والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه. ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة. ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[3].

وبحثنا هذا عن التطوع فى أى عمل اجتماعى له مردود بالخير على الناس، فالعطاء نقدمه لأى محتاج ليعلم الناس أن الدين الإسلامى هو أول من حث على التطوع فى فعل الخير وفى المجال التعاونى والمساهمة فى تخفيف الأعباء الاجتماعية عن المحتاجين ومعاونة الضعفاء ومساعدة أى محتاج. وقد وعد الله من يسهم بالتطوع فى المجال الاجتماعى ومن يعطى ويساعد غيره من المحتاجين الأجر العظيم والثناء من الناس فألسنة الخلق أقلام الحق، لذلك فلهم حسن ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٥ .
(٢) سورة البقرة الآيتان: ٢٦١ - ٢٦٢ .
(٣) رواه مسلم والترمذى وأبو داود.

إن الدين الإسلامى ملىء بالقيم النبيلة والخلق الكريم والأدب العالى وحسن التعامل مع الناس جميعًا حتى إنك لتجد من توجيهات رسول هذا الدين سيدنا محمد ﷺ عدم ارتفاع الجار على جاره بالبناء ليحجب عنه الشمس والهواء إلا بإذن الجار كذلك لا يؤذيه برائحة الطعام الذى يصنعه وإن ظهرت رائحته أهدى لجاره منه، ويقول له أكثر من ذلك: لا تدخل بالفاكهة مكشوفة ليراها الناس وأولاد جيرانك فإن فعلت ذلك فأهد لهم منها وإلا فادخل بها سرًا ولا تجعل أولادك يخرجون بها فى الصباح ليراها أولاد الجيران وقد جاء ذلك فى حديث رسول الله ﷺ لأحد الصحابة فى قوله: «أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته واذا استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت إليه، وإذا مرض عدته وإذا أصابه الخير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فأهد له. فإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[1].هل سمعت الدنيا بمثل هذه التعليمات إلا من نبى الهدى والرشاد الذى حمل الإسلام إلينا؟ إنه دين الحب والتعاون والتسامح والمودة وإن الهدف من طرح هذه المعلومات هو التعرف على النظرية الإسلامية فى حثها للإنسانية على الرعاية الاجتماعية، وتنبيه الأجهزة الأهلية والحكومية لتواجه المشكلات التى يتعرض لها المجتمع من البطالة، والعنوسة، وأزمة الإسكان، وزيادة معدلات الطلاق بحلول إيجابية من توجيهات الإسلام، ولابد لنا من أن نقابل أى مشكلة بالدراسة للأسباب التى أدت إليها والتخطيط فى ضوء القواعد الصحيحة والنظريات الحديثة التى تدعو إلى حل المشكلة مع العمل على المشاركة الشعبية واستخدام التكنولوجيا الحديثة والإصلاح المؤسسى على الأصول والقواعد

(١) رواه البطبرانى والخرائطى من مكارم الأخلاق.

الإجتماعية للتطوير وتحديث نظم الحل بما يتفق وما شهده العالم من تقدم وما يسود البيئة الاجتماعية من نظم، مع اشتراك الشباب وتدريبهم ووضع أيديهم على المشكلة وأسلوب الحل والتعاون مع المؤسسات الأهلية والأجهزة الحكومية لأنه من الملاحظ أن معدل القيم الأخلاقية بدأ يتراجع على المستوى المحلى والمستوى الدولى. بل وهناك بعض القيم قد انهارت فى نفوس الشباب وعلينا أن نتعامل برفق وصبر وحلم فى تشخيص العلاج وسرعة البدء فى تنفيذ برامج الاصلاح، ولابد أن يكون للقرية دور فعال فى سبيل النهوض بالعودة إلى القيم النبيلة كالتعاون والألفة والتسامح وهذا الأمر يقتضى تنمية الإنتاج الزراعى والحيوانى والنباتى والصناعى فى إطار تنمية شاملة اقتصادية وعمرانية واجتماعية وثقافية لتحقيق التنمية الشاملة مع تدريب المهنيين والحرفيين والمشرفين وإشراك المنظمات الأهلية ليتكامل الأداء مع فتح باب المساهمة المالية من خلال القنوات الشرعية والنظم الصحيحة بغية رفع المستوى الإنتاجى والثقافى لسكان الريف ويكون ذلك من خلال الجمعيات الزراعية، وجمعيات تنمية المجتمع والمؤسسات الأهلية ومراكز الشباب ونقابات العمال الزراعيين، وغير ذلك من الجمعيات التابعة للشئون الاجتماعية والجمعيات التعاونية والاتحادات الإقليمية: إن كل جمعية اجتماعية لها نشاط مستمر ونشاطها محدد على عمل معين فى الميدان الاجتماعى، وتتآلف الجمعيات لتكون منظمات مستمرة الأداء لتشمل المجتمع بأسره، ويخطط لها الاتحاد العام للجمعيات فى جوانب التنمية الشاملة.

إننا نطرح هذه الفكرة ليقيننا أن الاسلام سباق فى التخطيط للقواعد المنظمة للعلاقات الإنسانية المؤسسة على القواعد الثابتة الدافعة للتطوع والتضحية والإيثار.

وهذا البحث قسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: فى التطوع والعطاء فى ضـوء هدى الإسلام وتعاليم سيدنا محمد ﷺ.

الفصل الثانى: فى التعاون من هم أحق بهذا العطاء مع نماذج أخرى من توجيهات القرآن وهدى سيدنا محمد ﷺ.

والله من وراء القصد هو حسبى عليه توكلت وعليه المعتمد

وهو على كل شىء قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه

منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف

للمساجد وشئون القرآن الأسبق

الفصل الأول

التطوع



التطـوع

التطوع : هو بذل جهـد إرادى قائم على مهارة، أو خبـرة معينة، عن رغبة واخـتيار بغرض أداء عـمل دينى اجتمـاعى تطوعى خدمى لـه عائد فى تنمية المهـارات لدى الأفراد، ويتم ذلك دون انتظار أى مقـابل من البشر لأن الشخـص الذى يفعل الخيـر، متطوعـًا إنما يفعله لـوجه الله مظهـرًا الصورة الجميلة للوجه الإنسانى الذى يفيض بالخير لله والوطن ويدعم بذلك العلاقات الاجتماعية، ويؤكد على التعاون مع الناس فى سبيل الخدمة العامة التى تتسع مفرداتها لكل مناحـى الحياة، ولها مجالات متعددة خاصة فـى مهارات تنمية المواطنين حرفيًا أو مهـنيًا أو ثقافيًا فالذى لديه صنعة يعلم غـيره والمتعلم يعلم الأمى، والقوى يساعد الضعيف والغنى يأخذ بيد الفقير، والعمل على زراعة الأشجـار على جـانبى الـطريق وأمـام المنازل، وردم البـرك والمسـتنقـعات، ومسـاعدة ذوى الاحتـياجات الخـاصة، والمسـاهمة فى تـخفيف الـعبء عن المرضى ومـساعدتهـم، وفتح أبواب العـمل أمام العـاطلين وتحويل الـطاقات المعطلة إلى طاقـات منتجة إلى غير ذلك من أوجه الخـير، كل ذلك من باب التطوع لفـعل الخير الذى هـو عمل إنسانى بالـغ الرقى، ويفعل الشـخص ما يقدر عـليه طواعيـة دون انتظار أى عائد له، حـيث إن بداخل الإنسان رغـبة تحركها مـؤثرات دينية إنسانية النزعة لـفعل الخير: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾[1]، ثم إن لسان حال المتطوع يردد، إنما نبـذل ما نبذل ونقدم ما نقدم ابتغاء وجـه اللّه الذى لا يضيع أجر مـن أحسن عملاً، وخدمـة للوطن الذى نشأنا على أرضه ورعـانا بحنانه وأضفى علينا من خيـره ولم يضن علينا بأى شىء فأصبح يعيش فى قلوبنا وأعمـاق نفوسنا. وعملنا هو شكر لله صاحب الفضل علينا والتوفيق، وترجمة لانتمائنا إلى الإسلام، وحبنا للوطن.

---

(١) سورة الروم الآية: ٣٠ .

العمل التطوعى فى مصر

عرفت مصر العمل التطوعى منذ بدء الحضارة التى ظهرت على أرضها، وقد عرفنا ذلك من خلال الأعمال المنقوشة على جدران المعابد، فقد كان الشخص يتطوع من تلقاء نفسه لمدة «ساعة» فى كل يوم لأداء أى عمل اجتماعى له عائد ملموس على أرض الوطن أو يكون له عائد خدمى لأى مواطن فى حاجة إلى أداء هذه الخدمة، ولما دخلت المسيحية مصر تبنت الدعوة إلى عمل الخير وحثت عليه فمن تعاليمها «من كان معه رغيف خبز فليعط جاره نصفه ومن كان له ثوبان فليعط من ليس له ثوب» ورغب الناس فى الوقف ليكون عائده لعمل الخير وإنشاء المؤسسات الدينية، وفتح مجال عمل الخير أمام من يمد يده مع الدعوة لتحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة لصالح الوطن والمواطنين، ويتبين لنا أن عمل الخير جهد بشرى بدافع من إرادة الإنسان ورغبته وهو إما عمل فردى، أو عمل جماعى، وهذا العمل يستحب أن يكون منظمًا وتحت مظلة شرعية من الدستور والقوانين واللوائح المنظمة لمثل هذا العمل ولذلك رؤى إنشاء وزارة الشئون الاجتماعية لتخطط وتضع الضوابط التى تنظم عمل الجمعيات الخيرية والنقابات والمؤسسات والهيئات التى تشرف عليها، ويكون العمل التطوعى نابعًا من القلب بدافع من رغبة ذاتية، دون إجبار من أحد ومن يفعل الخير لا ينتظر منه أى عائد مالى أو أدبى لنفسه أو منفعة شخصية تعود عليه، وإنما أجره على اللّه الذى يكافئ من يفعل الخير فهو سبحانه القائل: ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1] والشاعر العربى يقول:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	**لا يذهب العرف بين الله والناس**

ويقول الامام على رضي الله عنه:

ازرع جميلاً ولو فى غير موضعه	**فلن يضيع جميل أينما زرعا**
إن الجميل وإن طال الزمان به	**فليس يحصده إلا الذى زرعا**

(١) سورة الحج الآية: ٧٧ .

العرب والعمل التطوعى

كان العرب يسكنون الجزيرة العربية، وكانت هادئة عن غيرها من البلاد المجاورة لها فلقد كانت الجزيرة العربية منعزلة عن الإضطرابات التى تسود العالم ومن هنا كانت طبائع العرب أشبه ما تكون بالمادة الخام تتراءى فيها الفطرة الإنسانية النظيفة والاتجاهات القوية إلى الأخلاق النبيلة الحميدة، كالوفاء بالوعد والعهد والكرم لأن العرب كانوا يتمتعون بحرية لم يتمتع بمثلها أحد من البلاد المجاورة، لهذا كان العربى يعشق الحرية، يذود عنها ويموت من أجلها ويردد.

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزلا

كما أن الكرم كان خلقًا أصيلاً فيهم، وكان الواحد منهم يجود بما فى يده ولا يبخل لأن البخل صفة ذميمة جداً ولذلك قالوا عن بعضهم:

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويقول الآخر:

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق اللّه سائله

وكان العربى يحمى جاره، ويرعى حقه ويحافظ على حرمته حتى قال أحدهم:

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

إن المنطقة العربية سجل التاريخ عنها بأن سكانها من الرواد الأوائل للنشاط الاجتماعى التطوعى، فقد ثبت أنهم كانوا يمدون يد المساعدة إلى أى إنسان عند الشدائد أو حلول الأزمات، وكانت لهم على مدى التاريخ قيم اجتماعية لمواجهة الأزمات الحياتية لهذا أنشئوا «السقاية» وهى تقديم الماء للحجاج الوافدين إلى البيت الحرام للحج أو العمرة كذلك كانوا يحفرون أماكن فى الصحراء يجهزونها ويعدونها ويملؤنها بالماء ليشرب الذى يمر بالمنطقة

ويحتاج إلى هذه الخدمة إلى جوار ذلك أقـاموا «التكايا» وهى عبارة عن أبنية يأوى إليها الإنسان وبجوارها مـكان لإيواء المطايا «وهى وسائل المواصلات فى زمانهم»، ويـقدم للإنسان وحيـوانه الطعام والشـراب وكانت التكايا للـفقراء والشخـصيات المتـوسطة الحال فى المجتـمع ثم أنشئـوا «المضيفـة» وهى مكان مجهز لينزل فيه مشايخ القبائل أو التجار وغير هؤلاء من الشخصيات التى لها منزلة اجتماعيـة، علاوة على أنهم أنشئوا البيمارستـان «المستشفى» وهو مكان يقدم العلاج إلى من يحتاج لهذه الخدمة، ونـظرًا لأن المنطقة العربية بها جبال عالية تحجب هذه المبانى عن كثيـر ممن يمرون بهذه المنطقة ويحتاجون إلى هذه الخدمة، ابـتكر العرب أساليـب ترشد الغريب الذى يـحتاج إلى أى مساعدة خاصة فى الليل، ومن أساليبهم فى الإرشاد:

١- إشعـال النار - خاصـة فى الليل- فـكانوا يوقدون الـنار ويكلفـون أحد العمال بالوقوف أمامها لتغذيتها بالأخشاب حتى لا تطفأ طوال الليل.

٢- وإمعانًا منهم فى التعريف بمكان النار كانوا يغذونها بأخشاب لها رائحة طيبة فتنتشر فى الوادى ويجىء الناس من كل مكان يتتبعون الرائحة الطيبة إلى أن يصلوا إلى مكان النار وهناك يجدون الدليل الذى يرشدهم إلى ما يطلبون.

٣- وكانت العرب تسمـى الكلب، داعى الضيف ومتمم النعم ومـشيد الذكر لما يجلب من الأضياف، فإذا اشتد البرد وهبت الريح فأطفأت النار قاموا بربط الكلاب فـى أماكن متـفرقة وفـى الجهات الأربع وعـلى النواصى ومنـافذ الطرق، فتنبح الكلاب فتهدى الضال وتأتى الأضياف على نباح الكلاب.

٤- ولم يكتف العرب بذلـك بل كانت لهم مجالس للصلح بـين المتخاصمين والتوفيق بين الناس وكانت هذه المجالس تسمى «مجالس العشائر».

حلف الفضول

مكة بلد العرب، وحرم الله الآمن، من دخلها كان آمنًا ولهذا قال الله عنها: ﴿ أوَ لَمْ يرَوْا أَنَّا جعلْنَا حرَمًا آمناً ويُتخَطَّفُ النَّاسُ منْ حَوْلِهِمْ ﴾[1]، ولقد استقر بها الأمن وأصبحت بلد السلام والأمان، فيها تتم المحافظة على الحقوق ولا يكون فيها الاعتداء على أى إنسان حتى ولو كان عدوًا لمن يلقاه فيها لأن الناس يحجون إليها ويعتمرون من كل بلد، ومن كل فج عميق، إذًا فلابد أن يتعاون أهلها على جعلها مكانًا تقدس فيه الحقوق كما يقدس البيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس وأمنًا للأرواح والأبدان والأموال والأعراض، لهذا أنشأ العرب أول جمعية خيرية عرفتها الإنسانية ليكون العمل التطوعى من خلالها وهذه الجمعية كانت تسمى فى أول نشأتها «حلف الفضول» وسبب تكوين هذا الحلف أن رجلاً من زبيد، قبيلة كبيرة، جاء إلى مكة ببضاعة ليبيعها، فاشتراها العاص بن وائل، وهو شخصية كبيرة من أهل مكة وبدأ يتهرب ويماطل ولم يدفع الثمن، فبدأ الرجل يطلب من الناس أن يعينوه ليأخذ حقه من هذا الرجل الظالم، لكن الناس تخاذلوا وخاف الرجل أن يضيع ماله حيث بدأ القعود فيمن استعان بهم من أهل مكة فما كان من الرجل إلا أن صعد على جبل أبى قبيس فى لحظة كان أهل مكة فى ناديهم، ونادى الرجل بأعلى صوته وأنشد يقول :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته	ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته	يا للرجال وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
إن الحرام لمن تمت كرامته	ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

إن الرجل يذكر الظلم الواقع عليه، وهو بجوار البيت المقدس لأرض الله الحرام وهذه الأرض لا تضيع فيها الحقوق ولا تنتهب الأموال، وهو مقيم

(١) سورة العنكبوت الآية: ٦٦ .

بين حِجْرِ إسماعيل، والحَجَرِ الأسود وهو مُـحْرِمٌ بعمرة، فهب رجال لنجدته يتقدمهم الزبـير بن عبد المطلب وبعض زعماء قـريش، لإغاثته، وكان هؤلاء يمثلون بنى هاشم، وزهرة وغيرهما من سادات قريش، واجتمعوا فى دار عبد اللّه بن جدعان وهو من الـشخصيات النبيلة الكريمة وقـد شارك سيدنا محمد ﷺ فى هذا الاجتـماع وكان سنه يـقترب من العـشرين وكان هذا الإجـتماع بمثابة الجـمعية العمـومية، وقد سمى هـذا بحلف الفضول لأن المشـاركين فيه دخلوا فـى فضل من الأمـر وتعاهدوا عـلى أن يكونوا يـدًا واحدةً متـطوعين للعمل الإجـتماعى والتزمـوا به: من ذلك، نصرة المظلـوم، والأخذ على يد الظالم، وإيواء الغريب. وإطعام الجائع، وكسوة العارى ولقد شارك النبى ﷺ قبل أن تنزل عليـه الرسالة فى تأسيس هذا الحلف وتطوع لتـنفيذ بنوده وفرح النبى ﷺ باشتراكـه وتطوعه فى هذا العمل الاجتماعـى وأعلن بعد أن مضى من عمره أكثر من ستين عامًا أنه ينفذه فى الإسلام لو دعى إليه، وكان لهذا الحلف أثر فى المجـتمع وكان الناس يـلجئون إليـه فى حل مشاكلهـم وقضاء مصالحهم وإزالة الخلاف من بينهم، ولهذا قال الزبير بن عبد المطلب وهو يعتز بهذا الحلف:

إن الفضـــول تعاقـــدوا وتحالفـــوا	أن لا يقيـــم ببطـــن مكـــة ظالـــم
أمـــر عليـــه تعاقـــدوا وتوافقـــوا	فالجـــار والمعتـــر فيهـــم سالـــم

إن أصحاب الفضل هم الذين يساعدون غيرهم، سواء كانت المساعدة، مالية أو أدبية أو خدمية، والإنسان لا يستهين بأى مساعدة يقدمها للغير، المهم أن يكون الشخص لديه قناعة على أن يجعل ساعة كل يوم يقدم فيها ما يقدر عليه من خدمة لغـيره ومساهمة فى عمل اجتماعى له عـائد خدمى اجتماعى ولا يطلب أجرًا على ذلك وإنما يفعل ذلك لله وخدمة للمواطنين.

الإسلام والعمل التطوعى

الإسلام الذى نؤمن بـه، عقيدة، وعمل، لا يـقر السلبية فـى حياة أى شخص ولا يرضى أن تكون خلقاً لأى إنـسان، لذلك فإن الإسلام حث على العمل ورغـب فيه، وقال لكـل مسلم: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)** ﴾(١) والمسلم وهو مطالب بالسعى والتحرك فى المجتمع معه فضائله وأخلاقه، عنده أمل ممتد فى الحياة وثقة برب كريم، وثقة بنفسه، يعيش وهو دائم العمل بدقة ومهارة، يخطط، وينظم، ويبتكر فى أساليب الأداء، يواظب على صلاته لأن صلته بربه تنمى فيه فضائله، وتهذب أخلاقه، وتصحح مساره، وتجعله يبتعد عن الفحشـاء والمنكر، ومع ذلك فإن الغنى والمنصب لا يغـيران من أخلاقه، ولا يجعلانه يتعالى على غيره ولا تهتز قيمه، لأن الإيمان يجعله ينتظر الثواب من اللّه الذى يحـقق له السعادة فى الحيـاة ويرزقه من حيث لا يحتـسب فهو يثق باللّه القائل: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢)** ﴾(٢)، وقول الحق ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)** ﴾(٣) والمسلم عندمـا تعترضه المشاكل لا تـغير من أخلاقه ولا يهـتز الإيمان فى نفسه، وإنما يـتغلب على حل المشاكل بـالصبر. والاستعانة باللّه وأمام عـينه قول اللّه سبحانه ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾(٤)، والمهنة فى نظر الإسلام مهما كانت قيمتها فهى أكرم وأشرف من ذل السؤال ومرارة الحاجة، والإسلام

(١) سورة الجمعة الآية: ١٠ .
(٢) سورة طه الآية: ١١٢ .
(٣) سورة الطلاق الآيتان: ٢، ٣ .
(٤) سورة البقرة الآيات: ١٥٥ - ١٥٧ .

وهو يدعو إلى العمل دافعه إلى ذلك أن اللقمة التى يأكلها الإنسان بلذة هى التى يحصل عليها من عرق جبينه وتعب جسمه، وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[1] ولهذا نهى عن التسول ومد يد الإنسان إلى غيره يستجديه لأن السائل يأخذ من الناس نارًا حامية وجحيمًا وسعيرًا فالسائل يأخذ ذنوب المعطى، والمعطى يأخذ من حسنات السائل لهذا ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «من سأل الناس عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم قالوا وما ظهر الغنى؟ قال: عشاء ليلة»[2]، إن السؤال ذل للنفس وهوان لها لذلك يجب على المسلم أن يكون عنده ورع ويتجنب السؤال الذى يريق فيه ماء وجهه، والمسلم يتحلى بالمروءة والشرف وعزة النفس، فلقد رباه النبى ﷺ على العفة والقناعة والرضا والاعتماد على النفس، وإن ضاق عليه الرزق صبر وارتحل من مكان إلى مكان وأخذ فى الأسباب وهو يردد :

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد   عسى نكبات الدهر عنك تزول

إن معلم الإنسانية ومربى البشرية كان يوجه الناس إلى العمل ويحثهم عليه لأن العمل شرف وعزة وكرامة وينهى عن التسول ومد الأيدى إلى الغير، فلقد جاء رجل من الأنصار يسأل النبى ﷺ (فنظر إليه فوجده صحيح الجسم سليم الحواس قوى البنية) فسأله النبى ﷺ: أما فى بيتك شىء؟ قال الرجل: بلى، عندى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه - شىء يشبه الكليم أو البطانية - وقعب نشرب فيه الماء - شىء يشبه القلة، أو الشفشق - فقال رسول الله ﷺ «ائتنى بهما» فآتاه بهما فأمسك الرسول ﷺ الحلس والقعب وقال: من يشترى هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. . فقال رسول الله ﷺ: من يزيد على درهم، مرتين أو ثلاثًا، قال رجل آخر: أنا آخذهما

(١) رواه البخاري.   (٢) رواه ابن حبان.

بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى وقال له: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يومًا، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفظع، أو لذى دم موجع[1]. إن الإسلام وقد حث على العمل ورغب فيه.. ونبهنا إلى الإعتدال فى كل شيء، فى الأكل والشرب فقال لنا: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[2]، والإسلام وهو يأمرك بالاعتدال يقول لا تكن مسرفًا، ولا تكن بخيلاً، فينبهنا القرآن إلى ذلك ويقول لنا ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾[3] إن الله سبحانه أباح لك أن تتخذ من الزينة ما تشاء وأن تأكل من الطيبات كما تريد. وأن تلبس وتتزين بما يحلو لك بشرط أن يكون مصدر الأشياء من حلال. وقد أديت حق الله فيها من إخراج الزكاة وصدقة التطوع، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾[4] إذا صح الإيمان بالله والاعتراف برسله جميعًا، اعترف الانسان بربه خالقًا رازقًا قادرًا عليمًا بكل شيء، هذا الإله الذى وهب الشخص كل شيء طالبه بأن يشكره لأنه بالشكر تدوم النعم، ومن شكر الذى رزقه ووهبه الحياة نبهه إلى أن يؤدى ما عليه وهو، أن يساعد غيره، قد تكون المساعدة بالمال، قد تكون المساعدة بالجاه، والمنصب، والمعاونة لمن يحتاج منه إلى أى مساعدة، وأن يفعل ذلك بعد أن

(١) رواه الترمذى وأبو داود.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٣١ .
(٣) سورة الإسراء الآية: ٢٩ .
(٤) سورة الأعراف الآية: ٣٢ .

يقوم بأداء الفرائض التى افترضها اللّه عليه، وبعد أن يقوم الفرد بأداء ما عليه من الواجبات والأعـمال المكلف بها يجوز له أن يتـطوع والإسلام يغرس فى نفوس أتباعه حب التطوع لأنه قمة العطاء ودليل على أن نفسية المتطوع سخية وكريمة وطيبة، وهو فى نفسه صالح ولأنه يحب أن يساهم بفعل الخير ويحب للناس مـا يحب لنفسـه، وهذا قمة الإيمان الصـادق الذى ينجى صاحـبه من المهالك ويرقى بالمتطوع فى سلم الرقى والتقدم والنجاح والفلاح مع حب اللّه له وثناء الناس عليه بالخير والدعاء له بصلاح الحال وهدوء البال، والله يبارك له فى صحته، ويمنـحه التوفيق فى حياته، ويبارك لـه فى ذريته التى تكون له قرة عين لهـذا الشخص الذى تطـوع فى العمل الاجتـماعى وأسهم فـى فعل الخير الذى قال الله لنا عنه: ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[1]

العطـــــاء

هو التـبرع ببعض الـوقت وبعض الجهد والـعمل والفكر والمـال والبذل والسخاء من شخص يتبرع تلقائيًـا بجزء من ماله أو وقته أو بأى شىء ويفعل ذلك فى سـبيل اللّه لـراحة الناس والتـيسيـر عليهـم وخدمة الوطـن فى كل الأعمال التـى لها عائد نفعى يـسهم فيها ويـشارك فى أدائها من تلقـاء نفسه ودون انتظـار مقابل، وهـذا العطاء نوه الإسـلام به وبيَّن أن لـه ثوابًا عظيـمًا وأجرًا كبيرًا.

والنوافل هى التطـوع، فالتطوع فى الصلاة هى صـلاة النوافل والسنة، والتطوع فى الصيام كـصيام ستة أيام من شهر شوال وصـيام الاثنين والخميس من كل أسبوع وكـصيام يوم عرفة والعـاشر من محرم وصيـام الأيام البيض، والتطوع فى الزكاة كصـدقة التطوع وكفالة يتيم، وكسـوة عارٍ، وتقديم علاج

(١) سورة الحج الآية: ٧٧ .

لمريض، وحفـر بئر ماء أو وضع ثلاجة مـياه فى مكان يحتـاج إلى مثل هذه الخدمة، وغرس شجرة فى مكان يحتاج للظل إلى غير ذلك من الخدمات التى يقدمهـا الفرد لأى محتاج، والتطـوع فى الحج والعمرة يؤديهمـا الإنسان مرة ثانيـة أو ثالثة أو ما يـشاء اللّه له، هـذا والرسول ﷺ يقول: «مـن نفس عن مسلم كـربة من كرب الدنيا نفس اللّـه عنه كربة من كرب يوم القـيامة، ومن يسر على معسـر فى الدنيا يسر اللّه عليه فى الدنيـا والآخرة، ومن ستر على مسلم فى الدنيا ستر الله عليه فى الـدنيا والآخرة واللّه فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»(١) ويشير الحديث إلى أن من فـرج همًا عن أخيه وسهل له الأمور ويسر عليه وقضى مصـالحه، بماله أو جاهه، أو وقته، وساعده، وبادر إلى إغاثته، كذلك من يسـاعد العاطلين بإقامة مشاغل لهم وتشـغيلهم فالثواب عظيم جداً لذلك سئل رسول الله ﷺ أى الـعمل أفضل؟ قال: إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعه، أو كسوت عورته، أو قضيت له حاجة(٢).

والعطاء أكثر ما يكون بالمال فيعطى الإنسان غيره من ماله. أو يقدم إليه مسـاعدة بجاهـه أو منصبـه. المهم أن لا يجور عـلى صاحب حق. ويـخدم ويساعد من يستحق. والعطاء له ثواب عظيم وأجر كبير.

أوجـه التطـوع

باب التطوع والعطاء مـفتوحان أمام كل شخص الذكر والأنـثى الصغير والكبير، وكل شخص عليه أن يقوم بما يقدر عليه مثل:

١ - المتعلـم يعلم غيره: بـأن يتطوع بساعـة واحدة فى اليوم ويخـصص هذه الساعـة ليعلم غيره، فـالمدرس يقيم فصـلاً لمحو الأمية، أو يفتـح فصلاً لتقـوية الطلبـة فى مادة دراستـه أو أن يقوم صاحـب المهنة ويعلم غـيره

(١) رواه مسلم. (٢) رواه الطبرانى.

صنعته، ومهنتـه، فساعة واحدة تخصصها لله تتطوع بهـا، لتعليم غيرك سيعطيك الله أكثر مما سوف يعطيك الناس الذين يتعلمون منك. . جرب هذا وسوف ترى الخير العظيم الذى سوف يأتيك من حيث لا تشعر واقرأ نص ما قاله الله سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾[1] ثم إنه فى عـهد رسول الـله ﷺ كان الأشعريون لا يُعلّمـون بعضهم ولا يتعلّمون من بعضـهم فخطب رسول الله ﷺ فى الناس وأثنى على طوائف من المسـلمين خيرًا ثم قال: ما بال أقوام لا يتعلّـمون من جيرانهم ولا يتفـقهون ولا يتعظون؟ واللّـه ليُعلّمن قوم جـيرانهـم ويفقـهونهم ويعـظونهم أو لأعـالجنهم بالـعقوبـة، وبلغ الأشعريين ما قاله رسول الله ﷺ وعلموا أنهم المعنيون بقوله فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرت أقوامًا بـخير وذكرتنا بشر، فما لنا؟ وقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فـأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم، أنفطـن غيرنـا؟ فقال ذلـك أيضًا، فقـالوا: أمهـلنا سنة، فـأمهلـم سنة يفقهونهم ويـعلمونهم ويعظونهم ثم قرأ رسول اللّـه ﷺ قول الله تعالى ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)** ﴾[2] هذا هو الإسلام دين العلم والتعلم لأن أول آية نزلت من الـقرآن الكريم تحث على القـراءة وتعلم الكتابـة بالقلم فهل يعلـم المسلمون ذلك ويهتـمون بنشر العلم والمعـرفة وتعميم الثـقافة والقراءة والكتابة؟! إنه من العيب أن نكون نحن أمة العلم والتعلم وعندنا هذه الأعداد الهائلة من الأميين، بينما المتـعلمون لا يعلمونهم فماذا يقول هؤلاء لربهم ونبيهم يوم القيامة؟

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٩٦ .

(٢) سورة المائدة الآيتان: ٧٨، ٧٩ .

٢- نظافة البيئة التى يسكن فيها الإنسان وتحيط ببيته وفى جنباتها يتحرك فالنظافة من الإيمان، لأنها سلوك دينى ومظهر حضارى وقد أمرنا اللّه أن لا نفسد فى الأرض ونلوثها برمى الفضلات على جانبى الطريق لأن ذلك يؤدى إلى انتشار الذباب والبعوض والناموس وكلها أشياء ضارة جالبة لكثير من المرض وانتشاره بين الكبار والصغار، لهذا قال اللّه عز وجل ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[١] الزينة هى النظافة فى الملبس والجسم ولا يتفق أبدًا أن تكون الملابس نظيفة والبيئة التى يمشى عليها الإنسان متوجهًا إلى المسجد وعمله مليئة بالقذارة والفضلات لأن هذا إفساد فى الأرض وقد قال اللّه تعالى: ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[٣] ومن هنا فقد أخبرنا رسول اللّه ﷺ أن الذى يتبول فى الطريق العام أو فى مكان الظل أو فى الماء الجارى أو الراكد فقد استوجب اللعنة، من اللّه وملائكته والناس أجمعين، لماذا يُلْعَن؟ لأنه تسبب فى تلوث البيئة وإشاعة الرائحة الكريهة فى البيئة وفى ممر الناس وكذلك تلوث الماء الذى يشرب منه الإنسان والحيوان والزرع وقد يكون الإنسان مريضًا فينشر المرض، كذلك الذى يقف فى الشارع بجوار حائط ليتبول أو الطفل الذى يتبول ويتبرز فى الشارع لأن أمه أهملته ولم تعلمه، كل هؤلاء ملعونون، لهذا قال رسول اللّه ﷺ «اتقوا الملاعن الثلاث، البراز فى الموارد، وقارعة الطريق والظل»[٤] ويقول عليه الصلاة والسلام: «من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم»[٥] إذا كان الأمر كذلك فإن الواجب على الشباب أن يشكلوا من أنفسهم فرقًا لنظافة البيئة، وتوعية الناس، ثم غرس الأشجار أمام البيوت وفى الميادين وتسوية الأرض وتجميل المنطقة وتزيينها وإنارة

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٣١ .
(٢) سورة الأعراف الآية: ٧٤ .
(٣) سورة الأعراف الآية: ٨٥ .
(٤) رواه أبو داود.
(٥) رواه الطبرانى.

الشوارع ليلاً وهكذا بحيث يكون أبناء كل شارع أو حى أو منطقة يقومون بذلك وليس فى ذلك عيب أبدًا؛ ولكن العيب أن نعيش فى منطقة ملوثة، وعلى الكبار أن يشجعوا أبناءهم ويدفعوا بهم للإسهام فى هذا العمل الخدمى. والرسول ﷺ ينبهنا إلى غرس الأشجار وزراعتها حتى إذا قامت القيامة وفى يد الإنسان شتلة زرع فعليه أن يزرعها قبل أن يذهب إلى أرض المحشر، فيقول الرسول ﷺ «إن قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»[1] وتأمل معنى الحديث إنه دعوة للعمل وتكريمه لأن المؤمن يتخذ الدنيا مزرعة للآخرة والمزرعة تحتاج إلى عمل وسعى فالمؤمن يسخر الدنيا لنفسه، ولا يسخر نفسه للدنيا ثم هو عضو عامل فى جسم الأمة، ودم يجرى فى عروقها يمدها بالقوة والحركة والنماء، إن المسلم إذا زرع أحسن وإذا صنع أتقن، وإذا تاجر برع، وهو فى كل جانب من جوانب الحياة عامل ماهر منتج ولهذا يقول رسول الله ﷺ «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[2] إن مجتمع المسلمين لابد أن يكون نظيفًا وعلى المسلم أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدًا وإن غدًا لناظره قريب.

٣- المرأة نصف المجتمع لذلك فإن كل أنثى من حقها أن تشارك فى العمل التطوعى وأن توجه الدعوة لزميلاتها حتى يتجمع عدد منهن ليقمن بدور فعال فى خدمة المجتمع من خلال العمل التطوعى الذى يقوم على الحرية التامة من حيث اختيار الموضوع الذى يشارك فيه الفرد، ونوع العمل، والوقت الذى يتطوع به والحرية فى التطوع لا تكون مطلقة، بل هى مقيدة من خلال الإطار العام وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين

(١) رواه البخارى. (٢) رواه مسلم.

والحفاظ على الجماعة وحتى لا يـكون هناك نشاذ فى العمل الذى يمارسه الأشخـاص فى المشروعات المحلـية فلابد من أن تأتـى الجهود التطوعـية متناسقة فى إطـار نظامى، وحتى لا تكون متناثرة غير مـتناسقة كان لابد أن يكون العـمل التطوعى فى إطار مـحدد له عائد اجـتماعى فى تنـمية المجتمع المحلى.

٤- تنمية المجـتمع المحلى ثقافيًا والاشتـراك فى محو الأمية، والعمل عـلى تنمية دخل الأسرة ورفع مستواها الثقافى والاقتصادى والاشتراك فى التوعية بتنظيم الأسرة والتنويه بخطورة الزواج المبكر والأضرار الصحية من وراء ذلك.

٥- تشكيـل لجنة لحماية المستهلك وتوعية ربات البيوت حتى لا يستغلهن التجار.

٦- توجيـــه ربات الأســر إلى الاهتمام بتربية الدواجن للاستـفادة من البيض والانتفــاع به فى الغذاء لمحــاولة الإقلال من اللحــوم للحد من أسـعارها المرتفعة والاهتمام بتربية دود القز وعمل خلية لنحل العسل فوق السطوح وكيف نزرع البلكونة لتزين واجهة المنزل.

٧- التدريـــب على أعمــال الإسعاف لأى مـريض أو جريح وإعطـاء الحقن وغير ذلك من أعمال التمريض، وإنشاء فرق رياضية فى كافة اللعبات.

٨- تعلم الخياطة وشغل الإبرة وأعمال الـتطريز والتريكو وغير ذلك مما يكون له عائد مالى يرفع مستوى الدخل للأسرة.

٩- التدريب على أعمال المطبخ وصنـاعة المربات والحلويات والمخللات وغير ذلك مما تحتاجه المائدة والأشياء التى لا غنى عنها لأى فرد حى.

١٠- رعايـة أحوال الأيتام ووضـع نظم لكفـالتهم والـعناية بالمعـاقين وذوى الاحتياجـات الخاصة ورعاية المسنين ومـن أصبحوا فى سن الشيـخوخة وأسر المسجونين.

١١- الوقايــة من الجريمة من خــلال التعريف بــبؤر الفســاد وتجمع المتــشردين والتعــرف على أسالــيبهم ومــن يتعاطــى البانجو والمخــدرات ومن أين يحصلون عليــها وإعطاء كل المعلومات للجــنة الثقافية التى تهــتم بنشر التوعية الــدينية والصحية والاهتــمام بالطفولة والأمومة والتــوعية بكل هذه الأمور.

١٢- لجنــة المصالحات، وهــى الــتى تقــوم بــالصلــح بين المتخاصمين؛ الرجل وزوجته، الجار وجاره، الصديق وصديــقه، المهم أن هذه اللجنة يشترك فيها، الكبار والشباب من الجنسين للصلح وتدعيم المودة بين الناس.

١٣- تشكيــل فرقــة لــلكشافة وأخرى للجوالة مع الاتصال بالجــهات المسئولة لوضعهما تحت نــظرها ومع ذلك يتم تشكيل مجموعة لتــسمية الشوارع والميادين وترقــيم البيوت نظيــر مبالغ رمزية لــشراء اللوحات وكتــابتها، وهذه اللجان عينة نقدمها ولكن هناك الكثير مما تحتاجه البيئة، وعلينا أن ندرك أن التطوع للعــمل الاجتماعى غرضه الأســاسى هو تحسين أحوال البيئة خاصــة فى الريف فيجب الاهتمام به. وكل شخــص يعيش بعيدًا عن بلده التى ولد فيــها وعاش سنينه الأولى بين ربوعهــا عليه أن يفكر فى نوعــية الخدمات الــتى يمكنه أن يؤديهــا وكيف يشارك فــى أى عمل تنموى لقــريته لأن التمويل للــنهوض بالبيئــة يحتاج إلى تعبئــة الجهود لمواجهــة التحديات: لذلك لابــد من توزيع الأدوار على جمــيع الأفراد فمنهم من يساهم بالمال ومنهم من يســاهم بالجهد ومن يساهم بالفكر، وهذه الجهود تــنظم من خلال الجمعــية التى تشرف على تــوزيع العمل وتمويله مــن خلال الإسهامــات التى تقدم إليــها وتقوم هــى من خلال شبــكة الاتصالات بتــوزيع الأدوار والربط بــين كل فريق. إن علــينا أن نوجه الأنظار إلــى أن الريف يحتاج إلى كــثير من الخدمات فــى مجال

التعليم ورصف الطرق وإنارتها وتوصيل المياه النقية للشرب وعمل شبكات الصرف الصحى وإنشاء المستوصفات والعمل على ربط القرى بالمدن بشبكة مواصلات سهلة وميسرة، والاتصالات التليفونية وإدخال الخدمات العامة كمكاتب البريد والكمبيوتر، وغير ذلك من الخدمات التى تنهض بالقرية وترفع مستواها مثل: المكتبات العامة والأندية الرياضية ومكتب لصرف المعاشات والسجل المدنى، أما فى المدن فيمكن الاهتمام بالسوق والتوعية من غش السلع وجشع التجار وحماية المستهلك ثم تيسير الأماكن لتسكين الطلبة المغتربين من الجنسين إلى غير ذلك مما قدمناه وما فيه التيسير على المغتربين.

إشـراك الجماهيـر

إن العمل التطوعى يحتاج إلى تمويل مالى خاصة وأن معدلات النمو السكانى قد أفرزت احتياجات جديدة تحتاج إلى الكثير من المال والحكومة قد لا تستطيع وحدها تلبية هذه المطالب المالية ولهذا رأينا أن نبين أولا كيفية إشراك الجماهير.

١- لابد من إشراك المواطنين جميعًا فى وضع خطط الخدمات ووضع الأولويات للمهم من الخدمات.

٢- تثقيف الجماهير وتوعيتهم بحجم المشكلات التى يعانى منها المجتمع الذى يعيشون فيه وأنه يجب أن يتم التعاون بكل جهد والإسهام فى تخفيف المعاناة عن الجماهير ويتم إشراك الجميع كل حسب قدرته، فيد الله مع الجماعة.

٣- تنظيم دورات داخل المساجد ومراكز الشباب والجمعيات الزراعية والمؤسسات الاجتماعية لتوعية الجماهير وتسجيل أسماء المتطوعين فى أى مجال.

٤- إن الاعتماد على العمل التطوعى لرفع مستوى الأداء فى أى موقع هو العلاج الصحيح لمواجهة مشاكل البيئة وتحقيق المتطلبات للنهوض بالقرية وتخفيف المعاناة عن الجماهير.

٥- دعوة أبناء القرية، أو الحى الذين يعيشون بعيدًا عن قريتهم أو حيهم ويعملون فى الداخل أو الخارج والاستفادة من مواقعهم وخبرتهم فى أعمالهم، والاستفادة من الشخصيات العامة من السياسيين والعلماء والرياضيين والفنانين، وحثهم على الإسهام بكل ما يقدرون عليه خدمة لقريتهم أو حيهم وربطهم بأصدقائهم القدامى ونهوضًا برفع مستوى الأداء على أرض الوطن العزيز ويخصص لذلك يوم لدعوتهم على أرض الواقع.

٦- يتم فتح حساب فى أى بنك فى القرية، أو مكتب بريد ويعلن عنه لتلقى التبرعات ممن يريد أن يسهم من أبناء المكان فى الداخل أو الخارج.

٧- منح حوافز أدبية للذين يساهمون برأيهم وفكرهم والمتبرعين بالمال والذين يشاركون فى العمل بجد ونشاط بحيث من يمنح هذه الحوافز يكون متميزًا فى تقديم خدمات عامة وهذه الحوافز هى شهادات تقدير أو دروع، أو ميداليات، وعندما يتم الاختيار تعلن الأسماء على الجماهير وتوزع فى حفل عام تدعى إليه القيادات السياسية والاجتماعية والشخصيات العامة.

معوقـــات
فى طريق العمل التطوعى

لا شك أن كل عمل ناجح يواجه ببـعض المعوِّقين الذين لا يعملون ولا يحبـون أن يعمل غيرهـم، وإليهم وإلى أمثـالهم أشار القرآن الـكريم قائلا: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وهؤلاء نسميهم «حزب أعداء النجاح».

•• وتتلخص أهم المعوقات فيما يأتى:

١- المشكلة الاقتصادية والتمويل المالى، وهذا أهم شىء من المعوقات.

٢- هجرة الكثيـر من أهل الريف إلى المدن بحثًا عن عـمل وهؤلاء ليس لهم استقرار فهم كثيروا الترحال بحثًا عن العمل مما جعل توافر المتطوعين أمرًا شاقًا للغاية.

٣- بعض الشبـاب مصاب بإحباط نـظرًا لما يعانونه من البطـالة وقلة الدخل فحاولوا الانطواء على أنفسهم وانعزالهم عن المجتمع.

٤- سيطرة أشخاص من ذوى السمعة السيـئة على الجمعيات أو قوة تأثيرهم على جهة تجمع مريد العمل التطوعى لتحقيق مآرب شخصية لهم، لذلك فقدت الجماهيـر الثقة فيهم وابتعدوا عن المشـاركة أو الاشتراك مع هؤلاء ولكى نكون صادقين فـى علاج مثل هذه الأمور علينا أن نتـخذ أساليب تتلائم مع البيـئة وتكون سببًا فى نجاح العمل التطـوعى. وعلينا أن نعمل بجد ومهارة ونتـفوق على أنفسنا، فعلى كل منطـقة أو قرية أن تضع من

(١) سورة الأحزاب الآيتان: ١٨، ١٩.

الخطط ما تراه يرقى بالأداء ويجمع الجماهير ويحقق أهدافهم، وهذه بعض النقاط:

١- إشراك الجماهير بعرض خطة العمل المنشود عليهم، والمطلوب من رؤوس العائلات تقديمه والإسهام فيه، ثم مواجهة المُعَوِّقين والحوار معهم بهدوء وسعة صدر والرد بوضوح وصراحة على ما يثيرونه من مشاكل تكون عائقًا أمام العمل.

٢- الحث على التبرع بالمال ووضعه فى البنك بإيصال يكون مع المتبرع وصورة منه فى الجمعية أو المؤسسة التى تشرف على العمل وفتح سجلات لتسجيل حركة البنك وتحديد أوجه الصرف بناء على المستندات أو التوقيع من المستلم، وعرض نتائج الوارد والمنصرف على الجماهير كل ثلاثة أشهر ومن لم يحضر هذا الاجتماع ولم يقدم أى اعتذار لتأخره لا يحق له الاعتراض.

٣- بالنسبة للشباب ممكن فتح مشاريع إنتاجية لهم مع تدريبهم على تحويل مسارهم وهناك أشياء من السهل القيام بها كصيد الأسماك ويمكن شراء آلات الصيد لهم، ولعلنا نذكر هنا المثل الذى يقول: «لا تعطنى سمكة ولكن أعطنى سنارة ودلنى على طريق البحر» لأنك لو أعطيتنى سمكة اليوم فأكلتها فمن يأتينى بها غدًا لكننى بالسنارة أصطاد وآكل وأطعم غيرى معى، ثم إن قدرة مجلس الإدارة الذى سيشرف علي العمل التطوعى من أول أساسياته جذب هؤلاء الشباب وإخراجهم من عزلتهم والدفع بهم فى أى عمل وتحفيزهم ولو بمبلغ بسيط لتنشيط هممهم وإدماجهم مع بعضهم ومعاونتهم لتقديم أفضل ما عندهم.

٤- تنحية الأشخاص من ذوى السمعة السيئة وإبعادهم عن المناصب القيادية وعدم إشراكهم فى تحديد المشاكل وتوزيع الأدوار حتى يُعرف أنهم لا دور لهم، ثم إن مجلس الإدارة هو الذى يقوم بالتخطيط ووضع الأولويات التى يكون لها سرعة التنفيذ خاصة ما يتعلق بالأموال.

إن كل جهد مادى أو أدبى يبذله الإنسان فى سبيل الله مهما يكن من ضآلة حجمه فهو محسوب للإنسان فى رصيد حسناته عند رب لا يضيع من هذا البذل مثقال حبة من خردل، «ذلك لأن المال عصب الحياة وهو الدعم لكل عمل ناجح كما أن التفكير لأى عمل والتخطيط الجيد يعادل المال مع استعمال الفكر والتخطيط الجيد لوضع الأولويات التى يكون لها سرعة التنفيذ، فالتمويل للعمل التطوعى يحتاج إلى جناحين كى ينجح؛ مال وفكر، وقد يكون الفكر أنجح من المال لأن التخطيط الجيد يؤدى إلى النجاح، من هنا نقول بأنه ليس هناك معوقات للنهوض بالعمل التطوعى الخدمى، فلو أن كل شخص تبرع بنصف ساعة كل يوم ليمحو أمية الأميين ولو تحت شجرة أو فى أى مكان مناسب فى ميدان سينجح وهذا لن يحتاج إلى مال، ولكن دعمًا للعمل لابد أن يكون هناك تمويل مالى ولهذا يكون التمويل على الوجه الآتى:

١- تبرع الأفراد وكذلك الهيئات والمؤسسات، وقبول الهدايا والمنح من أى جهة: وهنا لابد من التوعية بأن التبرع بالمال له ثواب كبير وأجر عظيم ومساهمة من المتبرع فى رفع مستوى القرية أو الحى ذلك لأن المتبرع للمشاريع العامة والعمل الاجتماعى الخدمى له من الله الأجر، والقرش الذى يقدمه الشخص بطيب نفس وسخاء ينميه الله لصاحبه ليرده إليه سبعمائة قرش وقد قال الله سبحانه فى بيان ذلك: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)** ﴾[١] ويقول الرسول ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإنه يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه (وهو المهر الصغير) حتى تكون مثل جبل أحد»[٢] إن ما يبذله الانسان

(١) سورة البقرة الآيتان: ٢٦١، ٢٦٢.
(٢) رواه الشيخان.

وما يقدمه لصالح العمل الاجتماعى العام فإن العائد على من ساهم فى بناء المجتمع عظيم لأنه يشارك فى بناء مجد الأمة ورقيها ويسهم فى تحضرها وتقدمها ثم هو يمارس رسالته التى خلقه اللّه من أجلها. إن المجتمع في حال بنائه يحتاج إلى الإنسان الذى يعطى قبل أن يأخذ»، والذى يقول ما قاله الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، وهو يؤمن بأن النظافة من الإيمان، وهى سلوك دينى ومظهر حضارى، والنظافة هى نظافة البيئة، ونظافة البدن، ونظافة الملبس، ونظافة القلب، وتوظيف الجسد ليكون فى خدمة الجميع ليكون ممن قال الله فيهم : **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾**[2].

إن المسلم مطالب دائمًا بأن يعمل بجد ويُجَود عمله ويتقنه ويبتكر فى أسلوب الأداء، ويؤدى الواجب عليه قبل أن يطلب الحق الذى له ، ويطيب نفسًا ببذل المال عند الحاجة، ويضحى بمصلحته الخاصة فى سبيل المصلحة العامة لإيمانه القوى بأن من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته.

إن البذل والإسهام بالمال فى سبيل مصلحة الجميع إنما هو مشاركة فى رقى القرية وتحضرها وهذا إرضاء لنفس الإنسان المعطى لأن ما أعطاه الفرد يعود عليه أضعافاً مضاعفة وصدق الله العظيم **﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾**[3] إنه فى عالم الواقع نلحظ أن قيم المشاركة المالية بدأت تجف منابعها لأن الإنسان بدأ يسعى إلى تحقيق مكانة اجتماعية لنفسه وبرز دور المنافسة الحادة المحمومة بين

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الحشر الآية: ٩ .
(٣) سورة البقرة الآية: ٢٧٢ .

مختلف الأفـراد من أجل الوصول إلى مكانة اجتـماعية، وهذه نزعة طبـيعية لكنها لو وصلت إلى مسك اليد عن الإنفاق والبخل وعدم المشاركة فى العمل العام فهـذا شيء مذموم فلا ترضاه الـنفس المؤمنة التى تتطلـع إلى عطاء الله وثوابه لأن هذه النفوس الكريمة تؤمن بأن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف على هذا المـال وأن صاحب المال رغّب المـستخلَف فـى الإنفاق على الـعمل الاجتماعى الذى له عائد على الجميع، لأن الإنسـان فيه نزعة اجتماعية فطرية لكنها فى صراع مع النـزعة الفردية المشبعة بالأنانية ، ولذلـك وصفها الخالق بقوله: ﴿ .. وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] .. وصور الرسول ﷺ حرص الإنسان على الدنيا وطمـعه فى متاعها بقوله عليـه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واديان مـن ذهب لابتـغى ثالثًـا» ولو سـرت هذه الروح بين الـناس لتوقفت عجلة التنمية وانحسرت الحضارة وأفلت شمسها وغاضت ينابيع الخير فى نفوس الـناس وانطمست معـالم الحق، ذلك لإننا لو نظـرنا إلى رسالات الأنبياء وأفكار المصلحين لوجدنا أن التقدم الصناعى والإسهام فى الكشف عن المعادن وتدوين العلم والاسـتكشافات والاختراعات وبناء الحـضارة والتوصل إلى الصناعة الخـفيفة والثقيلـة لم يتم كل ذلك وغيره إلا بإسهـامات الأغنياء ومساعدة مـن متوسطى الحال ، بل والفقـراء كانوا يساهمون ويتـبرعون بكل غال ورخـيص ويبذلون المال فى سـبيل الصـالح العام، وربما يكون مـن تبرع بشيء فى حاجة إليه ولكنهم بكل ثقة فيـما عند الله الذى سيخلف عليهم ما بذلوا وقدموا يرددون قول الرسول ﷺ: « لا يؤمـن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[متفق عليـه] ، وقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيـان يشد بعضه بعـضاً، وشبك بين أصابعـه»[متفق عليه] ، وقـوله عليه الصلاة والسـلام «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحـمهم وتعاطفهم مـثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الجسد بالسهر والحمى»[2]. ومن

---

(١) سورة الإسراء الآية: ١٠٠ .

(٢) متفق عليه.

الحكم الجميلة «ما استحق الحياة مـن عاش لنفسه فقط» وأذكر أننى نزلت إلى الكثير من القرى لحث الجماهير عـلى بناء مساجد فى النجـوع التى ليس بها مساجد أو التبرع بالأراضى للمساهمة فى بناء المدارس . وقد كانت التبرعات تنهال علينا حتى بحلى النسـاء بل وكان البعض يأتينا بالماعز والخراف والفراخ الحية، ولقد اقترح عـلينا بعض أفراد اللجنة عمل مـزاد علنى على كل شىء حى ولقد كان يصل ثمن الشىء من الخـراف أو الماعز أو الفراخ ثلاثة أضعاف الثمن ثم يعود مشتريها بالتبـرع بها بعد أن دفع الثمن المضاعف، وقد تبرعت بعض الأسر بأخذ هذه الأشياء الحية لإطعامـها ثم التوجه بها إلى سوق المدينة لبيعها لهذا كان المال يتدفق. وأذكر أن قـرية فى الشرقية كان مخططا أن نبنى بها مسجدا و معهدا ابتدائيـاً وإزاء هذه الروح بنينا مسجدًا على مساحة ٨٠٠ متر ومعـهدًا ابتدائيًا مشـتركًا ومعهديـن إعداديين بنين وبنات ومثلهـما ثانوى ومعهد للقراءات ومكتب بريد. وبعـد عشر سنوات بدأت القرية تفكر فى بناء جامعة، ولكن اللـجنة المشاركة معى طلبت الاتجاه إلى مـحافظة أخرى وكان نفس الحمـاس. لأن الناس إذا وثقوا باللجـنة المشرفة على أى مـشروع تدفق العطاء. ولقـد كان لنا يوم إفطار فى شهـر رمضان فى قرية ووجـهت الدعوة إلى محافظ الإقليـم فطلب مقابلة بعض الأفراد من القريـة وسألهم عن سبب الدعـوة فشرحـوا له مهـمتنا فـسألهم (هـتفطرونـا إيه) فذكروا لـه الأصناف والذبيحـة والكراسى والترابيـزات التى سوف يستـأجرونها. المهم سـألهم فى النهاية عن المبلـغ المرصود لهذه العزومة فذكروه له فـقال: هذا المبلغ هو أول تبرع للمشروعات أما إفطارى أنا ومن مـعى سيكون فولاً مدمسًا والجلوس فى المسجد ولـو فعلتم غير ذلك لن أحـضر وإن حضرت ووجدت غيـر ما قلت سأعود فورًا ولقد تم فعلاً ما أشار بـه وهذا العمل وحضور من المحافظ جعل أهل القرية كلهم يطبخون فولاً ويحضـرون الصوانى إلى المسجد وساحته التى

امتـلأت بالناس. وبعد صـلاة التراويح وقـف المحافظ وأعلن عن بـدء جمع التبرعـات وأخرج محفظته وتبـرع بألف جنيه وهنا تسابق أبـناء القرية، ومن ليس معـه مال كان يتبرع بدبلـة فرحه، ولم ينصرف المحافـظ إلا وكان المبلغ النقدى الذى جُمع وصل إلى أكثر من ٨٠ ألـف جنيه، وفى اليوم التالى وفد أبناء القرى المجـاورة وعرفوا ما حصـل وسرت هناك موجة التـعمير وتعـبيد الطرق وبـدأ أصحاب الأراضـى التى تقع علـى الطريق الذى يـربـط القـريـة بالطريـق العـام بتـبـرع الواحـد مـنهم بـ ٥ أمتـار والمواجه له مثـله. واتسع الطريق وبدأ الشـباب يغرسون الشجـر على جانبيه وهكذا تحـولت القرى إلى خلية نحل لأنهم وجدوا قدوة صالحة تتمـثل فى القيادة التنفيذية ومن حوله. إن الشعب المصرى عنده أصالة قد تحجب أحيـانًا لفترة قصيرة فإذا وجدت من يذكرها تنبـهت وأسرعت وضحت وبذلت ولن تبخـل أبدًا ذلك لأن تاريخنا حافل بالـقيم العاليـة الرفيعة والأخـلاق النبيلة والإسـهامات فى سـبيل دعم العمل الاجتمـاعى والنهوض بالمرافق العامة. ومما يذكـر فى هذا الصدد أنه لما نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾** ﴾[١].

قال صحابى جليل يسمى «أبو الدحداح»: يا رسول الله فداك أبى وأمى إن الله يستـقرضنا وهو غنى عن الـقرض؟ قال: نعم يريد أن يدخـلكم الجنة به. قال: فإنى قد أقرضت ربى قرضًا يضمـن لي به وبصبيتى الدحداحة معى الجنة به. قال: نعم قال ناولنى يدك فـناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لى حديقـتين إحداهمـا بالسافلـة والأخرى بالعـالية والله لا أملـك غيرهمـا قد جعلتهما قرضًا لله تعالى. قال رسول الله ﷺ: اجعل إحداهما لله والأخرى دعهـا معيـشة لك ولعيـالك. قال: فـأشهدك يا رسـول الله أنى قد جـعلت

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٥ .

خيرهما للّه تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: إذاً يجزيك الله به الجنة فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهى مع صبيانها فى الحديقة تدور حول النخل (وأخبرها بأنه تبرع بهذه الحديقة لله) فقالت ربح بيعك وبارك الله فيما اشتريت. ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما فى أفواههم وتنقض ما فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «كم من عذق رداح ودار فياح لأبى الدحداح» أى فى الجنة. من هنا فإن علينا أن ننبه الناس إلى فضل التبرع والتصدق بالمال والتطوع بالوقت فى سبيل العمل الاجتماعى الذى يعود نفعه للصالح العام.

٢ - الزكاة: هى إخراج جزء من مال بلغ نصابًا معينًا وحال عليه الحول. ذلك لأن الناس يتفاوتون فى الأرزاق والمواهب والقدرة على تحصيل المكاسب. وهذا أمر مشهور فى الواقع. ومثل هذا التفاوت يحتاج فى شرع الله إلى علاج لأنه سبحانه هو القائل: ﴿ **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾[١].

فالله سبحانه فضل بعضنا على بعض فى الرزق. وأوجب على الغنى أن يعطى الفقير العاجز المريض جزءاً مفروضًا وليس تطوعًا، ولامنّة من الغنى ولهذا قال سبحانه: ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾[٢].

إن الزكاة هى الوسيلة الوحيدة لعلاج التفاوت بين الأفراد وهى تنشر مظلة التكافل الاجتماعى بين الناس، ثم هى تصون المال من الهلاك فمن أخرج زكاة ماله فالله ينميه له ويحفظه من الحريق أو الغرق أو السرقة. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ما تلف مال فى بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة»[٣]

---

(١) سورة النحل الآية: ٧١.
(٢) سورة الذاريات الآية: ١٩.
(٣) رواه الطبرانى.

ويقـول رسول الله ﷺ: «حـصنوا أمـوالكم بالـزكاة وداووا مرضـاكم بالصدقـة واستقبلوا أمـواج البلاء بالدعاء والـتضرع»[1]، والزكاة تطـهر نفس مخرجها من داء الشح والبخل، وهما مرضان خطيران. لأن البخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس قريب من النار. إن المؤمن يعلم أن المال مال الله وأنه هو خليفـة عن الله فى إدارة هذا المال ولما كان اللـه سبحانه وتعـالى هو صاحب المال فقد وجه الشخص القائم علـى إدارة هذا المال بشكر الله سبحانه وإخراج جزء منه لـلفقراء والمسـاكين واليتامى والأرامـل وإعطائهم إلى حد الـكفاية. ويسـاهم المزكـى بإخراجـه للزكـاة بواجـبه الاجـتمـاعى فى نشـر التكـافل الاجتمـاعى، وهذا يؤدى إلى الأمن الاجتـماعى بين الناس لأن الـزكاة عون للفقراء والمحـتاجين تأخذ بأيديهم لترقى بـهم وترفع مستواهم حتى يـستأنفوا حياتـهم بالعمل الذى يعـود عليهم خيـره. لأن المسلمين نشطاء فى حـياتهم فالمؤمن القوى خـير وأحب إلى الله من المؤمن الضعـيف، وإن إخراج الزكاة نماء للمـال وتنميـة للثروة وزيادة لهـا وطهارة لهـذا قال سبـحانه ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾[2]. ويقول سبـحانه: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾[3].

أى زكى نفسـه وطهرها بإخراج الزكـاة وصان ماله وحفظه وأمـن عليه عند الله، والزكاة ركـن من أركان الإسلام وفرض من فروضه، وقـد أوجبها الله سبحانه على الأغنياء ووعدهم على إخراجها الثواب فى الآخرة، والزيادة فى أموالهـم بالبركة والنمـاء فى الدنيا، وتعطى لـلفقراء والمساكين. وقـد نبه الإسلام معـتنقيه إلى أن يعملـوا ويكسبوا لأن الشخص الذى يـعمل له ثواب وأجر فإذا أتقن الفرد عمله وجدد فيه وابتكر فى أسلوب الأداء فإن الله يبارك له فى صحته ويبارك له فى رزقه وأولاده ويمنحه التوفيق.

---

(١) رواه أبو داود فى المراسيل.

(٢) سورة التوبة الآية: ١٠٣ .

(٣) سورة الشمس الآية: ٩ .

مجتمـع الكفايـة

إن مجتمع المسلمين هو مجتمع الكفاية لكل فرد يعيش على أرض الوطن ويستظل بسمائه، والعدالة فى توزيع الثروات على قدر جهد الشخص وعمله وإنتاجه. فمن أبطأ به عمله لسبب خارج عن إرادته فإن فى أموال الصداقات والزكاة ما يغنيه. وكل شخص يجب أن يتحلى بالقناعة والغنى؛ لأن الغنى هو غنى النفس أولاً، ولذا قيل:

يعز غنى النفس إن قل ماله ... ويغنى غنى المال وهو ذليل

والإسلام يفترض فى معتنقيه أن يحولوا أموال الصدقات والتبرعات والزكاة إلى أدوات إنتاج ومصانع واستصلاح الأراضى والزراعة وتربية الثروة الداجنة والحيوانية والسمكية. المهم أن تكون الزكاة وغيرها مصدر تمويل لمشاريع إنتاجية وليست للاستهلاك حتى يكون هناك تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة وهذا من أهم ما وجه الإسلام النظر إليه. إن مجتمع الكفاية لن يتواجد إلا إذا عمل الجميع بكفاءة وقدرة. ولابد من توفير أدوات الإنتاج ومستلزماته ويمكن شراء ذلك من أموال التبرعات والزكاة على أن يتم تشغيل العاطلين أولاً وإيجاد فرص عمل لكل قادر. والله سبحانه يحب المؤمن المحترف لأن خير الناس من صح إيمانه ودل عمله الصالح على صدق إخلاصهم إن من صدق فى إيمانه أخلص عمله وأتقن فيه وجوده وابتكر فى أسلوب الأداء، فله فى الدنيا السعادة وفى رزقه وأولاده البركة وعند الله ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴿٨﴾ ﴾[1]. إنه لكى يكون مجتمع الكفاية قائمًا منتجًا فلابد أن تتم العناية بتأهيل القوى البشرية ليكون كل فرد قادرًا على حمل المسئولية عنده قدرة على الوفاء بمتطلباتها، وهو مع نمو طموحاته فى محيط عمله عليه أن يكتسب المزيد من المهارات والخبرات

---

(١) سورة البينة الآية: ٨ .

فيضيف إلى خبرة من سبقوه ومهدوا له الطريق ثم هو يفتح أفاقاً جديدة لمن يأتى من بعده. والإنسان كلما أخذ بالأسباب الصحيحة فتحت له وأمامه أبواب النجاح بفضل الله ومشيئته، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾[2].

تواصل الأجيال

فى ظل متطلبات النهضة الشاملة تتشابك المصالح نظراً لتعدد مجالات التعمير وتنوع آلات الإنتاج. وبما أن الإنسان هو العنصر الأساسى الذى لا غنى عنه لقطاعات التنمية ومن الاعتماد عليه والانتفاع بمهاراته وهو بقدر ما يعطى من فكره لجودة الإنتاج يأخذ حظه ونصيبه من ثواب الله وشكر الناس له، وقد تبين أن كل جيل يضع قاعدة، والجيل الثانى يزيد فى هذه القاعدة ويطور وهكذا يكون التطور والتقدم لأن تواصل الأجيال أمر قائم ومتجدد فى حياة البشر. والقرآن يقص علينا من سير الصفوة العظيمة من أنبياء الله وأوليائه والمجددين فى حياتهم الذين نبغوا فى العلوم ليبصروا الناس ويعلموهم ما ينفعهم فى دنياهم مع الحرص على تحقيق مصالح الناس مما يكون قدوة لنا. ونذكر قصة ذى القرنين، هذا الرحالة الذى هداه الله إلى الحق وكان كثير السفر، مهد الله له الأمور وعلمه الكثير من العلوم، نقرأ ذلك فى سورة الكهف من الآية ٨٣ إلى الآية ٩٧، لقد استطاع هذا الرحالة أن يحرك همم الكسالى ويجعلهم عاملين بهمة لذلك قاموا وبنوا تحت إشرافه السد الذى يحميهم من أعدائهم، وعلمهم كيف يخلطون مواد البناء وينحتون الحجارة ليبنوا بها وأصبح السد شاهداً على العمل الذى أصبح هو الحماية لهم، وأمرهم أن يعملوا بهمة ونشاط، فالدنيا لا تعطى خيرها إلا للجادين.

(١) سورة الطلاق الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة الطلاق الآية: ٤.

لذلك فإن التـنمية الشاملـة لمرافق المجتمع والتـخطيط المنضبط علـى القواعد العلمية والأسس السليمة هو الأساس للنجاح والتقدم والرقى الذى هو العامل للنجاح. كذلك ما نقرؤه عن سيدنـا يوسف الذى فى قصته آيات باهرات فقد رمى فى البئر. والتـقطه بعض الناس وباعوه وعمل عامـلاً فى بيت العزيز ثم لفقت له تهمة ودخل السجن وهو مظلـوم ثم أفرج عنه وواتته الفرصة ليظهر براعته فى عمارة الدنيا لنفـع الناس، لذلك قدم المشورة إلى الملك الذى أسند إليه العمل فأظهـر مهارات فائقة فى تدبير الموارد وتنظيم الاقتـصاد فعبر بمصر أزمة اقتصادية كانت ستدمر الوطـن لولا حكمة يوسف عليه السلام وتخطيطه الدقيق وعمله المنضبط، فقدم برنامجًـا لمواجهة الشدائد وقد أمر الناس بترشيد الاستهلاك ونـقرأ فى ذلك سورة يوسف كاملة وهـى رقم ١٢ فى المصحف، ومع سيرة الأنبياء نصل إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ الذى أسس حضارة هى أعظم حضارة عرفتها البشرية لأن أسـاسها هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حـميد والقرآن العظيم بحمد الله وفضـله محفوظ بعـناية الله يتلقاه الخـلف عن السلف جيـلاً عن جيل. وبفضل الله سبحانه كأنه نزل لساعتـه. فمن قرأ فيه كأنما يقرأ فى طوية نفسه ومن استمـع إليه كأنما يستمـع إلى همس خاطره. والقرآن الكريم كـتاب الله الذى أحكمـت آياته صالح لكـل زمان ومكان، يقـول منزله سبـحانه: ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ (١).

إن القرآن لو عاد الناس إليه وقرؤوه بتدبر لوجدوا أنهم عادوا إلى أصول فطرتهم الأولى وعندئذ يتبين لهم أن آدم أبو البـشر وحواء تناسل منهم القبائل والعشائـر ومن العشائر تكونت الشـعوب، وصار لكل شعب خـصائص من ناحية اللون واللغـة، واختلاف طرق تفكيرهم حسب ظروف البـيئة. ويتضح لنا ثمار هذه الحكمـة من ناحية اختلاف ظروف حيـاة كل شخص عن الآخر

(١) سورة الأنعام الآية: ٣٨ .

لأن مصادر الثروات تنـوعت من زراعة وتجارة وصناعة خفيـفة إلى صناعات ثقيلة إلى صنـاعة تحويلية لتفى بمتـطلبات البيئة وحاجـة الإنسان وتزدهر هذه الأشيـاء من جيل إلى جيـل وتختلف من أمـة إلى أمة من حيث الـوسائل. وبهذا الـتنوع تسعى الشـعوب إلى التعـارف وتبادل الخبـرات والتعاون المثـمر لتحقيق مصـالح البشرية وحتى تستقر حياتهم كـان ولابد من التعاون الذهنى والعقلى والجسدى بين الجميع ونجد ذلـك فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾(1).

وإذا كانت الشعـوب قد تعددت خصائصـها، وتنوعت طرق معيـشتها لكن هناك شىء أساسى هو التعاون والغرض من ذلك التعارف والتكامل وهو بسط يد المودة بين الشـعوب والقارات لصالح بنى الإنسـان ولعل مؤتمر الحج الذى يقام فى أيام معلومات على أرض طاهرة مباركة ما يوضح لنا ذلك وكل من حـضر هذا المؤتمر نجـده قد تجرد مـن الزى الذى يميـزه عن غيره وأصـبح الجميع فى زى واحد ونشيدهم واحد: لبـيك اللهم لبيك: وعلمهم واحد (لا إله إلا الله محمـدً رسول الله) وقبلتهم واحدة ودستـورهم واحد وهو القرآن كل ذلك لماذا ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** ﴿٢٨﴾ ﴾ (2) .. والمنافع هى تبادل الخبرات وتنمية الصناعات .. وإقامة سوق دولى الكاسب فيه هو المهارة ودقة الصنعة مع الجودة فى كل شىء .. وصدق من قال:،

النـــاس للنـــاس مـــن بـــدو وحاضـــرة

بعـــض لبعـــض وإن لـــم يشعـــروا خــدمُ

إن الإنسان يهـنأ بثمرات سـعيه. مع الاحتـرام المتبادل فى جـو يسوده الأمن الاجتماعى، والعدل أساس فى ظل تبـادل المنافع للصالح العام إسهامًا

(1) سورة الحجرات الآية: 13 .

(2) سورة الحج الآية: 28 .

فى تحقـيق الرخاء. فالـعدل هو الميزان الذى يـستمد مـقوماته من أوامـر الله سبـحانه، والرحمـة هى الشعار الـذى به تستقـيم الأمور. إن الحضـارة التى نضرت جوانب الحيـاة الاجتماعية بفضل تعاليـم الإسلام . . سعد الناس فى ظلالهـا بالمؤاخـاة والتعـاون. . مع تكـريم الإنسان لـذلك سعـدت البشـرية وانصهرت فى ود وتآلـف . . فالوطن للجميع مسلـم . . نصرانى يهودى أو معتـنق أى عقيدة . . فإن الجـميع يلقى الرعـاية من الخليفة أو الحـاكم لأنهم يعيشـون فى بوتقة الأخوة والاحترام المـتبادل وحسن الجوار. . ولقـد أصيبت الحضارة بـفترة انكماش لأن الـناس ضلوا الطريق ، ومع ذلك ظـلت عوامل القوة قـائمة تدعو الـناس إلى العودة لتـتمسك بـتعاليم الوحـى الإلهى وترك الخلاف الذى يؤدى إلى التعصب أو العنف أو الإرهاب . . لقد مزج الإسلام بين الشعوب الـتى انضوت تحت لوائه وعاشوا فى سـلام لذلك صاروا قوة لا يستـهان بها. ولقد غـاظ أعداء الإسلام قوة الأمة الإسـلامية التى اسـتمدت مقومات حـياتها من كتاب ربها وسـنة نبيها، لكن المتربـصين بالإسلام وأهله ومن شايعـهم من جيرانهـم الذين أنسوا بهم اسـتطاعوا أن يدخلوا إلـى حياة الناس بأفكار ومـؤثرات أدت إلى ظهور فرق ملأ الحـقد قلوبها فـأشعلت نار الفتنة وظهرت نـزعات حادة دخيلة على المجتمع الإسـلامى ومع كل ذلك ما تزال الأمة مـاضية فـى طريق نهضـتها وإتمـام تحررها والعـمل على الإنتـفاع بثرواتهـا وتحقيق التـنمية الاقتـصادية والاكتـفاء الذاتى، لهذا عـلى الأبناء أن يقرءوا تاريـخ الآباء والأجداد حتى تتواصـل الأجيال ونؤسس حاضـرنا على مجد تـليد وحضارة عـظيمة. ونذكـر هنا قصة لأبى الـدرداء الذى كان يزرع شجرة لوز ومر علـيه سيدنا عمر بن الخطاب وسـأله أتزرع شجر لوز وهى لا تطرح ثمارها إلا بعد سنين وأنت رجـل تجاوز سنه المائة؟ قال أبو الدرداء: يا عمر إن من قبلـنا زرعوا فأكلنا . . ونحن نزرع ليأكل مـن يأتى من بعدنا . . وهذا هو تواصل الأجيال الذى أمرنا به كـما جاء فى الآية الكريمة التى تؤصل

هذا المعنى فى نفوس قارئيها وهى قول الله سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[١].

فهذه الآية تصل السابق باللاحق وفيها من دلائل تواصل الأجيال وترابط المجتمعات بما يدعم المودة بين الأجيال ليكون العطاء والترابط بين الأجيال متجددًا . فهل لنا أن نتدارس تاريخ الإسلام وعطاءه الحضارى الذى استظل العالم أجمع بمظلته التى غطت على الجميع بأعلام المحبة والتسامح والتآلف والتآخى وشعارهم ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾[٢]؟!

وفى قول الله سبحانه موجهًا نبيه ﷺ أن يوجه النداء إلى غير المؤمنين برسالته أن يتفقوا على مبدأ التفاهم والتعايش السلمى مع بعضهم فى مودة وتسامح: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[٣] . . لقد منح الإسلام ضمير الإنسان ثقة بعد تهذيبه وأقامه حارساً على التشريعات الدينية التى يمارسها الإنسان وينفذها. وجعل الحرص على تنفيذها تنمية للمجتمع وصلاحًا للفرد ورقيًا للأمة، فالشهادة بالحق وقوله مرد ذلك إلى ضمير الفرد والشهادة واجبة إذا كان الشخص رأى بعينه أو سمع من شخص ثقة وقد كان حاضرا، وعلى الإنسان أن يدلى بشهادته ولا يمتنع تحت أى سبب عن أدائها حتى ولو كانت على أقرب الناس إليه لقوله سبحانه وتعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾[٤].

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٠ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣ .
(٣) سورة آل عمران الآية: ٦٤ .
(٤) سورة النساء الآية:١٣٥ .

وقوله سبحانه: ﴿ ..ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا .. ﴿٢٨٢﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ .. ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ... ﴿٢٣٨﴾ ﴾[2] .. وهذا الضمير الحى يستشعر خشية الله الذى هو مع كل شخص بعلمه وإحاطته بكل شىء لأنه كما يقول سبحانه: ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴿٧﴾ ﴾[3].

والضمير هو الذى يجعل الإنسان المراقب له يخرج زكاة ماله طواعية ويرضى نفسه لأنه يدرك أنها الأساس فى إشاعة الحب بين الناس وتأسيس العدالة الاجتماعية لإقامة مجتمع إنسانى متوازن مترابط متآلف والزكاة، فرضها الله حقًا فى أموال القادرين تقدم للمحرومين، والإسلام يحفز الوجدان على أداء هذا الحق الذى يؤديه الشخص طواعية وبرغبة ذاتية لأن الزكاة ركن من أركان الإسلام .. والفلاح للإنسان والنجاح يتحققان لمن أخرج الزكاة وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴿١﴾ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿٢﴾ والذين هم عن اللغو معرضون ﴿٣﴾ والذين هم للزكاة فاعلون ﴿٤﴾ ﴾[4].

كما أن النصر للشعوب التى يحافظ مواطنوها على إخراج الزكاة ويقومون بواجبهم نحو إخوانهم فى المجتمع ويسهمون فى إقامة المشاريع الإنتاجية وتنمية المرافق، فبهم ومعهم يتحقق النصر وصدق الله العظيم فى قوله: ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴿٤٠﴾ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٨٢ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٣ .
(٤) سورة المجادلة الآية: ٧ .
(٤) سورة المؤمنون الآية: ٤ .

الْمُنكَرِ . . ﴾[1]، إنه من المؤكد أن جميع الأنبياء تضمنت شرائعهم النص القطعى على إخراج الزكاة لأن هدفهم إنسانى - إجتماعى فهى ثمرة التراحم والإخاء الإنسانى والترابط الإجتماعى . . والإحساس النفسى بالرحمة وهذا التراحم إنسانى الهدف والغاية فلا يقف عند حدود الأخوة الدينية لهذا يقول الحق سبحانه ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (٨) ﴾[2]. إن الرحمة تشمل كل شىء تنبض فيه الحياة لأن الرحمة فى الإسلام أساس الإيمان وعلامته وهى دليل على تأثر الضمير بالدين كما أنها شاهد على تغلغل الروح الإنسانية فى كيان مخرجها ومؤديها، لذلك فإن الإنسان الذى فى قلبه رحمة يرحم الإ نسان والحيوان ويرحم كل شىء ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»[3]، كما أن الرحمة بالحيوان تدخل الشخص الجنة، ويرحم الله من يرحم الحيوان ففى حديث لرسول الله ﷺ «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيه فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل. لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يارسول الله إن لنا فى البهائم أجرًا؟ فقال: فى كل كبد رطبة أجر» [4]. فى المقابل يعذب الله القاسى القلب الذى نزعت الرحمة من قلبه لأنه من لا يرحم لا يرحم ولأن الراحمين يرحمهم الرحمن ومن يرحم من فى الأرض يرحمه من فى السماء. ولهذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذْ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» [5]. وهذا هو

---

(١) سورة الحج الآيتان: ٤٠، ٤١ . (٢) سورة الممتحنة الآية: ٨ .
(٣) رواه أبو داود. (٤) متفق عليه. (٥) متفق عليه.

الرفق بالحيوان رفع شعاره سيدنا محمد ﷺ منذ ألف وأربع مائة وسبع وعشرين سنة، فأين من يفهمون إن أخراج الزكاة وإعطاء الصدقة للمحتاج وإطعام الطعام والمساهمة فى علاج المرضى وكساء المحتاج وغير ذلك من الخدمات التى يقدمها الإنسان إنما هى تجارة رابحة مع الله عائدها عظيم وفائدتها كبيرة وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾** ﴾[1] .. إن أخراج الزكاة ومد يد المساعدة لأى محتاج يخلف الله على المنفق ولا يجد أى خسارة أبداً وصدق الله العظيم ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾** ﴾[2] ، ويقول سبحانه ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾** ﴾[3] .. إن الامتناع عن إخراج الزكاة وعن التصدق وعدم المساهمة فى تنمية البيئة هلاك للفرد وتهلكة للمال وإتلاف له وإصابة المجتمع بالدمار والتدمير بما يشيعه البخل من تفاوت وظلم يترتب عليه أحقاد وأطماع وانحلال عرى الأخوة، فى نفس الوقت يكون الشخص الذى منع الزكاة ولم يتصدق وهو قادر على ذلك له فى الآخرة سقر وهو واد فى جهنم فظيع رهيب من يدخل فى هذا المكان يلقى النكال والهوان، يبين الله لنا ذلك فيقول: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾** ﴾[4] .

---

(١) سورة فاطر الآيتان: ٢٩، ٣٠ .
(٢) سورة الحديد الآية: ١١ .
(٣) سورة الحديد الآية: ١٨ .
(٤) سورة المدثر الآيات: ٣٨ – ٤٧ .

الوقـــف

إذا كانت الزكاة تـقيم مجتمع التكـافل فهى كذلك تشيع الطـمأنينة فى نفوس أفـراد المجتمع وتنشر الأمـن بينهم وتقوى العـلاقة بين الغنى والفـقير وتنمى الثروة. وتزيد فى الرخاء. وتدعم الوضع الاقتصادى للأمة فلا يتعرض المجتـمع لخلخلة ولا انهـيار. إن الزكاة وسـيلة من أعظم الوسـائل لتحـقيق الرخاء وتجـعل كل فرد يمـضى إلى عملـه بمهارة وإتقـان ويبتكر فـى أسلوب الإنتاج لأنه يثق أن بعض عائده له، ويأتى بعد ذلك دور (الوقف) وهو شىء مهم فى إنعاش المجتمع ورفاهيته، وهو حبس عائد العين على حكم ما أشار به الواقف من أفعال البر والتصدق بالمنفعـة على جهة الخير، فمثلاً رجل عنده أرض زراعية فـأوقف منها عشرة أفدنـة أو أكثر وحدد أن يصرف ريعـها على جوائز لحـفظة القرآن الكـريم وفرش المساجـد وشراء المصاحف وطبـع الكتب الدينية وبناء مؤسـسة لإيواء الأيتام وإيفاد بعض علماء الإسـلام للخارج لنشر الثقافة الإسلامية وتصحيح المفـاهيم الدينية وبناء المراكز الإسلامية فى بلاد لا تعـرف شيئًـا عن الإسلام وتـرجمة مـعانى القـرآن بلغـة تلك البـلاد وطبع الأحاديث النبوية والسيرة النبوية كـذلك. وشرح أركان الإسلام وكتابة السيرة الذاتية لعظماء الإسلام الذين أسهـموا بفكرهم فى رسم خطط التجارة وأسس الاقتصاد وأنواع الزراعة وتنمية المجتمع وغير ذلك من أعمال النهضة الحضارية للأمة الإسلامية، أو أن يكون شخص قد رصـد عنده عمارات فيوقف عمارة لمثل هذا الموضوع، أو رصد مبلغًا من المال لـتوزيع عائده على الفقراء والأيتام وهكذا، والوقف من الأعمال العظيمة التى يـتقرب بها الشخص إلى الله فهو من أعمال الخير والبر. وقد قال الله سبحانه: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ**

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[2].

والوقف من عمل البر الذى ينال صاحبه ثواب الدنيا والآخرة، ففى حديث رسول الله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» [3]، والولد الصالح هو القائم بتأدية فرائض الله وحقوق العباد. والإنسان المؤمن ذو قلب رحيم يسارع فى فعل الخير ويقصد أن تناله رحمة الله التى وسعت كل شىء وهو يدرك تماماً أن هذه الرحمة لا تنال إلا برعاية مصالح الناس لأن الله يرحم الرحماء، ومن لا يرحم لا يُرحم. ولقد قال رجل لرسول الله ﷺ «إنى لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال له عليه الصلاة والسلام : إن رحمتها رحمك الله»؛ ويذكر المؤرخون أن عمرو بن العاص عندما فتح مصر نزلت حمامة على خيمته وبنت عشا لها فوقها. فلما أراد الرحيل رآها ترفرف فوق عشها لأن به فراخها الصغار . فلم يشأ أن يفجعها . فترك فسطاطه إكرامًا لحمامة. ولذلك تكاثر العمران حول خيمة عمرو وأصبحت مدينة سميت مدينة الفسطاط.

هذه الرحمة هى ينبوع فياض بالخير والإحسان على الإنسان والحيوان. وقد قال رسول الله ﷺ «لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا يا رسول الله : كلنا رحيم، قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة»[4]،

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٧ .
(٣) رواه الترمذى.
(٤) رواه الطبرانى.

وكما أن فعل الخير يكون بالمال، هناك كذلك أعمال لها نفس الثواب وهذه الأعمال هى من أعمال البر والخير والإحسان إلى الغير، وقد بين رسول الله ﷺ بعضها فى حديثه الذى يقول فيه «تبسمك فى وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة»[1]، وفى حديث آخر يقول عليه السلام «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[2]، لقد تجلى هذا الخلق العظيم فى العلاقات الاجتماعية بين الناس، لهذا سادت العواطف الكريمة وتجلت هذه المشاعر النبيلة، فتدفق البر وفاض الخير، وعمت الرحمة المجتمع، وتنافس المسلمون فى وقف الأطيان والعقارات والأموال وكل ذلك بدافع الرحمة ورغبة فى مثوبة الله لهم وأن لا ينقطع عملهم بعد موتهم، فأوقفوا على إطعام الجائع وكسوة العارى وإيواء الغريب، وتعليم الجاهل وإغاثة المحروم، وكل عمل نبيل له غرض شريف، وقد أشركوا الحيوان معهم، لأن نبل النفوس وسلطان الدين ويقظة الضمير دفعتهم ليتخيروا الأغراض الشريفة ليوقفوا أموالهم للإنفاق من ريعها فى أوجه الخير.
ونعرض لبعض النماذج من الأوقاف:

١ - وقف الغاضبات : وقف يؤسس من ريعه بيت، وبه كل مستلزمات المعيشة، تذهب إليه الزوجة التى يغاضبها زوجها وليس لها أهل، وتظل فى عيشة طيبة من ريع الوقف حتى يذهب النفور بين الزوجة وزوجها، وتعود الحياة إلى سيرتها الأولى بينهما.

٢ - وقف الأعراس: وهو وقف يشترى من ريعه ما تحتاجه العروس من حلى وأثواب. وتستعير منه العرائس الفقيرات ما يلزمهن فى أيام أفراحهن، ثم

(١) رواه الترمذى وابن حبان.
(٢) رواه البخارى ومسلم.

يقمن برد ما استعرنه بعد سبع ليـال، وبهذا الأسلوب يتيسر للفقيرات أن يظهرن فى أفراحهن وهن فى أبهى صورة وأجـمل هيئة وتمر عليهن ليالى أفراحهن وهن يشعرن بالفرح والسعادة.

٣ - وقف الزبادى: وهو وقف يشترى من ريعه أطباق، لكل خادم ينكسر منه طبق أو يضيع، فإذا شعر أنه سوف يتـعرض لغضب مخدومه، ذهب إلى إدارة الوقف ويتم الشراء من ريع الوقف مثل الطبق المفقود ويأخذه الخادم لينجو من عقاب مخدومه.

٤ - وقف مؤنس المـرضى ومواساتهم: وهـو وقف يعين من ريعه أصـحاب الأصوات الحسنة ليقوموا بترتيل القرآن والقصائد الدينية طوال الليل إيناسًا للمرضى الذين يسهرون الليل من شـدة المرض وليس معهم من يؤنسهم. كذلـك يتم تعـيين عدة أشـخاص ليـقوم كل شـخصين بإدارة حـوار مع بعضـهما فى مكان قـريب من مريض يسمع مـنه كلامهمـا ولا يراهما، فيقول أحدهما للآخر: ماذا قال الـطبيب عن المريض فلان فيقول الآخر: لقد قال الـطبيب أنه لا بأس به فشـفاؤه قريب ولا يوجد بـه ما يمرضه، وإنما هى وعكة خفيفة وسينهض من فراشه عاجلاً.

٥ - وقف الكلاب الضالـة: وهو وقف ينفق من ريعه على إطعـام الحيوانات الأليفة التى ليس لها صاحب ولا من يقدم لها الطعام كالقطط والكلاب، وهذا العمل من باب الرحمة بها واستنقاذًا لها من عذاب الجوع.

هذه عينات من الوقـف وهو متنوع ومتعدد والذين أوقفـوها فى قلوبهم رحمة وخير يقدمونه لغيرهم، ذلك لأن أحاسيسهم رقيقة ومشاعرهم سامية، ولم يكفهم أن يكون عملهم فى أنواع الخير والبـر مقصوراً على حياتهم الدنيا فأرادوا صدقـة جارية وحسنة دائـمة يكتب لهم أجـرها ما بقيت الحـياة وبقى الإنسان . . إن الوقف نزعة إنسانية وله دور عظيم فى النهوض بالمجتمع فمنه

تبنى المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات وتؤسس المعامل وتستصلح الأراضى الزراعية وتفجر الآبار وتضخ المياه هنا وهناك، تنمية شاملة لكل مناحى الحياة. لذلك كان المسلمون يتسابقون فى وقف ما لديهم بحافز من أنفسهم وباعث من ضمائرهم وكل واحد منهم يوقن أن سعادته فى الدنيا وفوزه فى الآخرة موقوف على العمل الصالح الذى يستمر عطاؤه ويعود نفعه على كل ذى كبد رطب، والوقف من خصائص الإسلام فأساسه عاطفة دينية، وهدفه تحصيل الثواب. وهذا عطاء عظيم وخدمة جليلة للأجيال التى تنتفع بهذا العطاء. إن هذا العطاء من هذه النفوس الكريمة أعظم دليل على أن المسلمين يبنون ولا يهدمون، يعمرون ولا يخربون، يسالمون ولا يحاربون، يُعَلِّمون ويتعلَّمون. وهم يعلمون أن العمل الصالح والصدقة التى يقدمونها لغيرهم والأوقاف التى أوقفوها لها ثواب عظيم وأجر كبير علاوة على ذلك هناك عائد آخر، هو زيادة فى العمر وسعة فى الرزق. يحدد ذلك رسول الله ﷺ فى قوله: «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر، ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور»(١).

كما روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يزاد فى عمره ويزاد فى رزقه فليصل رحمه»(٢).

أن من يمنع الخير ولا يسهم فى العمل الاجتماعى بحيث لا يتطوع ولا يعطى أى شىء من جهده أو ماله إنما هو بفعله هذا قد بغى على الحق الاجتماعى وجار على الآخرين وانطلاقًا من هذا المفهوم نجد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قاتل مانعى الزكاة، ومن المأثور أن حاتم النعمان دخل على الخليفة عمر بن عبدالعزيز فوجده يبكى، فسأله عن سبب بكائه فقال: أبكى جاهدًا محرومًا، وفقيراً جائعاً ومريضاً ضالاً، وعاريًا مجهودًا، ومظلومًا

(١) رواه أبو يعلى - الترغيب والترهيب جـ ٣، ص٣٣٥ .
(٢) رواه البزار والحاكم وصححه.

مقهورًا، وغريبًا أسيًرا وشيخًا كثرت عياله وقل ماله. وأخاف أن يأتى أجلى قبل أن أوفى ما علـى، هذا عمر بـن عبدالعـزيز الذى بحثـوا فى أيام خلافـته عن شخص يأخذ الزكاة فلم يجدوا من يأخذها لأن القناعة عمت النفوس والضمائر مستيقظة والهمم عالية والنفوس راضية. . فأين نحن من هذا الخلق العظيم؟!

دور المؤسسات والجمعيات

إن دور المؤسـسات الاجتـماعيـة والجمعـيات الخـيرية عظيـم جداً لأن التخطيط لاستخدام خدمات تنموية للأفراد ليتعايشوا من كسب أيديهم وعرق جبينهم أصـل أصيل من تخطيط هذه المؤسسـات وحتى يكون من وراء ذلك كفايتهم . والمفروض فى الأفراد أن يبـتكروا فى أساليب العمل الذى يقوم به كل فرد لأن تطور الحياة وتقدمها يعتمد على الأشخاص الذين يخططون بمهارة وكفاءة ثم إن على الجمعيات والمؤسسات أن تهتم بالتنمية الشاملة لكل مناحى الحياة، وهذا يعنى الاسـتمرار فى العمل الاجتماعى التـطوعى وعدم التراخى والإهمال ثم القيام بالواجب. وعدم النـظر إلى العائد الشخصى لأن المهم هو العائد الاجتماعى. ولابد من إنكار الذات مع استشعار الأمانة والمسئولية. إننا إذا نظرنا إلـى عدد الجمعـيات والمؤسسات فـى مجتمـعنا نجد أنهـا تزيد عن (١٧,٠٠٠) سبعـة عشر ألف جمـعية ومؤسسـة فلو أن كل جمعـية حددت أهدافها ورسمـت برامجها وخططت بدقة وأشـركت الجماهير معهـا للنهوض بالمجتمع وتوجيه الشـباب للمشاركة الفعالة من ناحية العـمل حتى ولو بتربية دود القز والثروة الداجنة وصيد الأسمـاك وصناعة عش الغراب سيكون الخير عظيمًا ثم يكون هناك فريق آخر يقوم بالتوعيـة الاجتماعية ونشر الثقافة ومحو الأمية والتوعية بأخطار الزواج المبكر، والاهتـمام بتربية الأطفال إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التنموية ولو فعلنا ذلك لتغيرت صورة المجتمع ونهضت الأمة لأن المجـتمع الإنسـانى مجتـمع نظيف لا يـعرف التلوث الـفكرى ولا

التلوث البيئى ولا التلوث السمعى ولا التلوث البصرى إلا من خلال الأفراد . . وأن على أفراده أن يعطوا من عائد عملهم واحترامهم للوقت فلا يضيعونه ويتبرعون إذا وثقوا فى القائمين على العمل الاجتماعى لنشر مظلة التكافل الاجتماعى، وبهذا لا يكون بينهم متسول لأن التسول نشأ نتيجة الجهل والجشع والكسل فأنا أذكر أن شابًا قويًا يبلغ من السن ١٥ خمسة عشر سنة تقدم وبيده فوطة على السيارة التى أركبها ليمسح بابها وزجاجها، ففتحت الباب وناديت على الشاب وقلت له (ليه بتمتهن هذه المهنة). فكان رده (إنت مالك) ، قلت له: (أبوك عايش)، قال: (ملكش دعوة)، قلت له: (أنت متعلم)، قال: (معايا الابتدائية وتركت المدرسة بعد ما نجحت فى سنة ثانية إعدادى) قلت له: (عندى وظيفة لك). . قال: (مرتبها كام؟) قلت له: (خمسين جنيهًا) وكان هذا المبلغ يومها له قيمة شرائية، قال: (أنا بجبهم فى يوم واحد). وتركنى وانصرف إلى سيارة أخرى والناس كذلك يعطونه وما عرفوا أنهم يضرونه ويشجعون أمثاله ومن هنا تتكون فئة تعيش على التسول وتقلل شريحة اجتماعية عن العمل والإنتاج. إن الشخص الذى عنده كرامة لا يمد يده تحت أى ظرف . . وإنما هو يمتهن مهنة. أو يحترف حرفة ليتعايش منها، إن على المؤسسات والجمعيات أن يكون هدفها هو إلغاء الدور التكاسلى الذى بدأ البعض يمتهنه ولابد من القضاء على الإتكال على الغير والاعتماد على البلطجة ويكون ذلك من خلال تثقيف الجماهير ونشر التوعية وإشراكهم فى العمل الاجتماعى ونشر مظلة الرعاية الاجتماعية. إن تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة واحتضان العقول المفكرة المبتكرة يجفف منابع التسول ويقضى على الكسل . إن كل شخص فى عنقه ضريبة للمجتمع عليه أن يقوم بأداء هذه الضريبة بأمانة مع مد يد المساعدة وانتشال من أوقعهم حظهم العاثر فى بؤرة الخمول والتراخى ومساعدتهم حتى ينهضوا واقفين من جديد. إن نشر الوعى الاجتماعى سيكون مكسبًا عظيمًا للمجتمع، وعلينا أن نهتم بالأطفال خاصة المتسربين من التعليم وقبل أن يقعوا فى أيدى من لا

ضميـر عندهم. ومع محـو أميتهم وتدريبـهم على الحرف التى تـتناسب مع أجسامـهم وعقولهم حتى يتـمكنوا من الإعتماد عـلى أنفسهم ونشر التـوعية بينهم ويكون التركيز فيه على - التطوع بعد القدرة على المكسب، والعطاء لمن هم فى مثل الحالة السابقة لمن تطوع فكما أمتدت إليه الأيدى الرحيمة عليه أن يكون مثل من ساعدوه وإذا كنا نطالب كل شخص أن يكون على صلة بوطنه الأول لأن حب الوطن من الإيمان فهذا ما نسميـه بعودة التحام الفرع بأصوله والعودة إلى الجذور الأولـى، فإن على أبناء القرى الذين هـجروها أن يفكروا جيداً فـيما يقدمـونه إلى قراهم لأننا نعلـم جيدًا أن القرية فى المـاضى كانت منتجـة مصدرة. وكانت مـصدر عطاء لكل من يتـصل بها لكن نظراً لـهجرة الكثير من أبـنائها وعدم اتصالهم بها أصـبحت مستوردة مستهـلكة . . وتغير الحال. فلو أن أبـناءها عادوا إليهـا وقاموا بأداء الواجـب فيها لتـغير وضعـها وعادت إلى سيرتها الأولى. يقول ابن حزم «فرض الله على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم» فيلزم المسـلمون منهم أن يقدموا إلى أبناء قريتهم مما يأكلون ومن اللباس للـشتاء والصيف ما يحميهم وبمسـكن يقيهم من المطر والشمس وعيون المارة . ورسول الله عليـه الصلاة والسلام يقول «ما آمن بى من بات شبعان وجـاره إلى جواره جائع» [١] ويقول عليـه الصلاة والسلام: «من كان عنده فضل ظهر فليعـد به على من لا ظهر له» وهذا النص ينبه إلى من كان لديه مكان فى سيارته أو على جمله فليحمل من ليس عنده، وإذا كنا قد أصبحنا فى زمن «ابن الحرام مخلاش لابن الحلال وسيلة» فإنه لا مانع أبدًا عن البحث فى الأماكن من الأشخاص الذين لا يسألون الناس إلحافا.

ومن كان عنـده فضل زاد فليعد بـه على من لا زاد له. قال أبو سـعيد الخدرى رضى الله عنه راوى الحديث: فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكـر حتى رأينا أن لا حـق لأحد منا فى فـضل»[٢] إن الدور الاجتـماعى

---

(١) رواه البزار. (٢) رواه مسلم.

للمؤسسات والجمعيات عظيم جدًا لو عرف المساهمون فيها والمشاركون دورهم فى خدمة المجتمع وأنه دور أساسى وعظيم وأن عليهم أن يقوموا به حتى لا يأثموا ويضيعوا على المجتمع فرصة لا تعوض ويحاسبون على ذلك أمام رب عظيم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن حياته لموته ومن صحته لمرضه ومن شبابه لكهولته.

ونداء نوجهه ونسمعه لكل شخص: ارتبط بقريتك، وساهم فى تنميتها وتطوع ولو بساعة كل أسبوع لتقديم ما لديك إلى أبناء بلدك وأهل محلتك حتى نصل الآباء والأجداد ونجدد ذكراهم فى أذهان الناس وحتى يقول الناس عنك: إن من أنجبك لم يمت.. والذكر للإنسان عمر ثان فإلى العمل والإنتاج والعطاء والتطوع بكل همة فيد الله مع الجماعة، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.

* * *

الفصـــل الثانى

التـــعاون

التعـــاون

الحمد لله رب العالمين سبحانه، خلق الإنسان، علمه البيان، وفضله على كثير من خلقه، وصدق الله العظيم ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[1]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذى بعثه الله خاتمًا للأنبياء والمرسلين هاديا إلى طريق الخير. أمر الناس بالتعاون مع بعضهم، وأخبر الناس جميعًا بأن خير الناس أنفعهم للناس، ذلك لأن وحى الله إليه أن يحث الناس على أن يتعاونوا مع بعضهم على فعل الخير. وتعمير الأرض، والارتقاء بالمجتمع، ولهذا قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[2]. صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين رباهم على مكارم الأخلاق وآخى بينهم أخوة جعلتهم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، لذلك تعاونوا مع بعضهم، وكل واحد يشد على يدى أخيه بحب وتآلف وشعاوهم:

كونوا جميعًا يا بنى إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا ... وإذا انفردن تكسرت آحادا

وتمسكوا بقول الله سبحانه: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾[3].

وقال قائلهم:

ومن ذا الذى رأى كفًا يصفق وحده ... وهل حائط فى الانفراد يقام

(1) سورة الإسراء آية: ٧٠ .

(2) سورة المائدة آية: ٢ .

(3) سورة آل عمران آية: ١٠٣ .

لهذا كنت ترى المسلمين فى تعاونهم قد ضربوا نماذج رائعة فمن ذلك أن أحدهم ذبح بقرة ووزع لحمها كله. وبعد أن فرغ تذكر أحد جيرانه، وأنه لم يهد له، فتلفت فوجد رأس الذبيحة، فأرسل بها إلى جاره. فلما وصلت الجار، سأل الرجل زوجته هل عندنا عشاء الليلة؟ قالت: نعم. فقال الرجل فى نفسه. جارى فلان أولى بها فأرسل الرأس إلى جاره. فسأل الرجل زوجته. أعندنا عشاء الليلة؟ قالت: نعم. فأخذ الرجل يفكر. ثم قال: جارى فلان أولى بها. وهكذا بدأت الرأس تنتقل من دار لدار. والسبب أن كل واحد عنده عشاء ليلته، وهذا ناتج من حبهم لبعضهم والإيثار الذى تحلوا به.. لذلك لو قال أحدهم: آه، يشكو أى وجع لجاوبه أهل حيه وعشيرته: ألف سلامة يا حبيبنا، وهذا ما عبر عنه النبى ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١).

هذه الإخوة والتعاون دليل على روح الإيمان الحى، والمشاعر الطيبة الرقيقة التى يكنها المسلم لأخيه فى الإنسانية. إن من حق أخيك المسلم أن تكون عونًا له فى السراء والضراء، وأن تحب النفع له، وأن تبتسم فى وجهه عند اللقاء وأن تحسن لقاءه، فالرسول ﷺ يقول: «إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم. فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم»(٢). إن أى نفع تقدمه إلى إخوانك ناتج ذلك عائد إليك، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان معتكفًا فى مسجد رسول الله ﷺ. فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس رضي الله عنه: يا فلان. أراك مكتئبًا حزينًا؟ قال: نعم يا بن عم رسول الله، لفلان على حق، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس، ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال:

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه الطبرانى.

لا ولكنى سمعت صاحب هذا القبر - والعهد به قريب - ودمعت عيناه - يقول: من مشى فى حاجة أخيه، وبلغ فيها، كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى، جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين»[١]، لكل هذه الأسباب كانت دعوة الإسلام صريحة وواضحة فى التعاون بين الناس لأن ابن عباس وهو ابن عم النبى ﷺ كما أنه حبر القرآن وترجمانه، ذكر أن المشى مع أى شخص لقضاء مصلحة له خير من اعتكاف عشر سنين فى مسجد رسول الله ﷺ. وقد أخذ هذا من نص كلام النبى العظيم سيدنا محمد الذى لا ينطق عن الهوى كما أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد - يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم»[٢]. كما روى ابن أبى الدنيا أن الرجل إذا أدخل قبره أتاه ملك - والإنسان وحيد خائف - فيقول له الملك: ألا تعرفنى؟ فيقول الإنسان لهذا الملك: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذى أدخلته على فلان فى يوم كذا فى موضوع كذا وقد جئت إليك اليوم لأونس وحشتك، وألقنك حجتك، وأثبتك بالقول الثابت، وأشهدك مشاهد يوم القيامة، وأشفع لك إلى ربك، وأريك منزلك من الجنة، لكل هذه المعانى كان للعمل التطوعى قيمة عظيمة وأثر طيب، ولهذا يقول رسول الله ﷺ لرجل جاءه يسأله: أى الناس أحب إلى الله؟ فقال ﷺ: « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربه، أو تقضى عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا». ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحب من أن أعتكف فى هذا المسجد، يعنى مسجد المدينة، شهرًا، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام[٣].

(١) رواه البيهقى.
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير.
(٣) رواه الأصفهانى.

القــرض

لما كان المال شقـيق الروح، والإنسان بإنفاقه ضنين، كـانت الدعوة من الله صريحة للإنسان أن يساعد المحتاج، وأن يخرج الزكاة. وهناك شىء مهم جدًا، هو أن تقرض أخاك المحتاج مبلغًا من المـال بلا فائدة، ليقضى مصلحته ويفك أزمته، ثم تسترد مالك بعد ميسرته. وهذا باب من أبواب الخير، دعانا إليه ربنا فـى القرآن الكريم، فقال سـبحانه: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾[1]. إن القرض هو إعطاء شخص أى شىء لمدة محـدودة، على أن يرد هذا الـشىء كما هـو بلا زيادة وهذا العـمل سنة مستـحب الإتيان به، خـاصة إذا كان المقتـرض مضطرًا. ويحـرم القرض لمن يستعين به على معصية، فإذا أتاك شخص تعرفه قائلا لك: أنا عايز مائة جنيه لمدة سنة. وأنــت معك المال ولست فى حـاجة إليه، فـإن أعطيته فـلك أجر كبير، وثواب عظيم، وتوفيق من الله لك، ورعاية كاملة لكل مصالحك.

ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «من يسر علـى معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة»[2]، ويقول عليه الصلاة والـسلام: «من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكـشف كربته، فلـيفرج عن معـسر»[3]، ويقول عليـه الصلاة والسلام: «من أنظر معسرا إلى ميســرته، أنظره الله بذنبه حتى توبته»[4]، إن الذى يتـأمل فى توجيــه الاسلام إلى القـرض الحسن - يجد أن هـذا هو بند عظيم، وباب كـبير من عـمل الخير. لأنه سـبب فى مساعـدة أخيك، وإزالة الكرب عنه. بل هو قانون يجب أن تلتزم به الجـمعيات الخيرية، إن على كل شخص مـوسر أن يسـاعد الفقـراء خاصة فى إقـامة المشـروعات الصغـيرة، واسترداد رأس المال برفق ويسر، لأن هذا مساعدة للفقراء الذين يريدون عملا شريفًا، ثم إن المقرض الذى يسهم فى رقى حياة الفقراء والمحتاجين، وأن يقيم

(١) سورة الحديد الآية: ١١ .
(٢) رواه أبو داود.
(٣) الترغيب والترهيب جـ٣، ص٤٦ .
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط.

لهم أعمالاً وأن يشعر بأخوته لهم وأن منفعتهم منفعته، فهذا الشخص يحبه الله، ويرضى عنه، ويظله فى ظل عرشه يوم القيامة، ولهذا روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه»[1]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾** ﴾[2]. وكأن الله سبحانه يقول للمقرض إذا كان أخوك المقترض معسرًا فكن به رفيقًا رحيمًا، واعلم بأن الله لا يضيع أجرك، ما تفعلون من خير تجدوه عند الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا فيقول سبحانه: ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[3].

عطاء الله

إن عطاء الله بلا حدود، فمن ساعد أى إنسان، ومد يد العون إلى المحتاج، فإن الله يزيد فى عمره، ويقيه مصارع السوء، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ «صنائع المعروف تقى مصارع السوء. والصدقة خفيًا تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف»[4]، وفى الحديث القدسى يقول رب العزة: «يا عبدى أنفق أنفق عليك - يد الله

(١) رواه الطبرانى فى الكبير.
(٢) سورة الصف آية: ١٠ - ١٣ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٠ .
(٤) رواه الطبرانى.

ملآى لا يغيضها نفقة سخاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق الله منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما بيده»[1].

ويقول رسول الله ﷺ: «بينما رجل فى فلاة من الأرض فسمع صوتًا فى سحابة: «اسْق حديقة فلان» فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حَرَّة، فإذا شَرْجَة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقة يحول الماء بمسحاة، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال فلان، بالاسم الذى سمعه فى السحابة – فقال له: يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ قال: سمعت فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: «اسقْ حديقة فلان» لاسمك. فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فانى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثه، وأرد ثلثه»[2] هذا عطاء ربك. عطاء بلا حدود، إن من يفعل الخير لا يمكن أبدًا أن يضيع، حتى ولو ضاع عند الناس فلن يضيع عند الله. إن الذى يساعد الناس بزكاته أو بجاهه أو بقوته، فإنه يكتب له النجاح والفلاح والسعادة وصحته تزيد وعمره يطول. وماله ينمو، ويحفظه الله من السرقة والحريق والغرق، هذه المعانى التى غابت عنا، علينا أن ننشرها، وأن نضرب الأمثلة بالشخصيات العظيمة مثل: طلعت حرب، عبود، أبو رجيلة، ومؤسس توشيبا العربى من الشخصيات التى بنت المصانع بشرف وذمة واقتدار، ثم اسهموا فى نمو المجتمع ورفاهيته وتقدمه.

إن رجال الأعمال الشرفاء تجدهم يبنون المساجد، ويقدمون الخير للناس، فزادهم الله خيرًا وكثرت أموالهم علاوة على حب الناس لهم والدعاء لهم وهذا الدعاء كنز لهم عظيم.

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه مسلم.

أول مــزاد علنــى

الإسلام يطالب أتباعه بالعمل، وينــبههم إلى أن العمل شرف وكرامة. والإنسان يصبر على الجــوع ولا يمد يده بالسؤال، لأن السؤال ذل وهوان، إن المسلم لا بد أن تكــون له حرفة يكتسب منــها مهما كانت، فــرسول الله ﷺ يقول: «من يكفل لى أن لا يسأل الناس شيئًا أتكفل له الجنة». وكان "ثوبان" وهو صحــابى جليل يجلس، فقــال: أنا يا رسول الله، فكان لا يــسأل أحدًا شيئًا[١]، ويقول رسول الله ﷺ: «ثلاث - والذى نفــسى بيده - إنى لحالف عليهن، لا ينــقص مال من صدقة - فتصــدقوا - ولا يعفو عبــد من مظلمة إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة - ولا يفتح عــبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عز افاعفوا يعزكم الله»[٢].

إن الإسلام دعوة إلى التسامح، وعدم سـؤال الناس، والعفو عمن أساء إليك، والشخص دائمًا يصل من قطعــه، ويعطى من حرمه، والجزاء من الله عظيم، إن رسول الله ﷺ يبين لنا الشخص الذى يمــلك الدنيا فهو كما يقول رسول اللــه ﷺ: «من أصبح آمنــا فى سربه، معــافى فى بدنه، عــنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الــدنيا بحذافيرها»[٣] - إن المسلمين لو تعاونوا وظهر روح العطاء والتطوع فى مجتمعــهم، لن يكون هناك محتاج أبدًا، لأن الناس تعامــلوا مع بعضهــم بروح الإسلام، روح الخير والــتعاون والتآلــف والعطاء والتطوع فى عمل الخير.

يقول أنس بــن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار جــاء إلى النبى ﷺ فسأله، فقال له: أما فى بيتك شىءٌ، قــال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقــعب نشرب فيه الماء، فــقال النبى ﷺ: **ائتنى بهما**، فأتاه بهما، فأخــذهما رسول الــله ﷺ بيده وقــال: من يشتــرى هذين؟ فقــال رجل: أنا

(١) رواه الإمام أحمد.
(٢) رواه الطبرانى عن أم سلمة.
(٣) رواه الترمذى.

آخذهما بدرهم، فقال رسول الله ﷺ: من يزيد على درهم ؟مرتين أو ثلاثًا، قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى، وقال: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا فأتنى به، فآتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا، ففعل، وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة، لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفظع، أو لذى دم موجع»[1].

إن الإسلام يدعو إلى العمل والأكل من حلال لتكون الصحة والنضارة والبهجة والسعادة، ولذلك كانت المرأة فى الصدر الأول تقف عند الباب وقت خروج زوجها للعمل، وتمسك بتلابيب زوجها وتشده بقوة وتقول له: يا زوجى الحبيب، إياك والحرام - إياك والحرام - إياك والحرام، فإنا نصبر على الجوع فى الدنيا ولا نصبر على نار جهنم فى يوم مقداره خمسين ألف سنة، وهى ترمى بشرر كالقصر، طعام أهلها الزقوم، ورضف جهنم، وإذا طلبوا ماء سقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم.

لذلك ندعو إلى التواصل والتراحم والألفة والتعاون والتسامح والحب والإخاء، لعل الله يرحمنا فهو الرحمن الرحيم ورحمته سبحانه وسعت كل شىء وهو الرزاق العظيم ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[2].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٢٦ .

أهلك حتى لا تهلك

دعت الشريعة الإسلامية إلى أداء حق الوالدين وذوى القربى أولا، لأن أكرم الناس أكرمهم لأهله، ومن لا خير فيه لأهله، ولا عنده لذوى قرابته خير، فلا خير فيه للناس مهما صنع، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾[1] هذا هو الطريق القويم، وهذا هو الصراط المستقيم، على الناس أن يلتزموه وأن يترسموا خطاه، حتى لا يقع بينهم خلاف يؤدى إلى صراع وصدام، كل ذلك يؤدى إلى تقطيع الأرحام وسفك الدماء. فكان من هدى الله وتوجيهه، أن بين للناس أن أول معالم طريق الخير، هو الطريق الذى يؤدى إلى سعادة الشخص فى الدنيا والآخرة، هو الطريق الذى يؤدى إلى عبادة الله سبحانه والالتزام بطاعته، وأن يوقر الناس أوامره سبحانه ويجتنبوا نواهيه، وأن تمتلئ قلوبهم إيمانًا به سبحانه، والخشية منه. والدعوة إلى عبادة الله، دعوة عامة لجميع الناس، فهم مدعوّون إلى رحاب الله، والوقوف فى محراب عبادته. علمًا بأن الطريق إلى الله مفتوح لكل شخص يفتح قلبه لله، ويتجه إليه الشخص يدعوه سبحانه ويرجوه، لأن الأمر بيده وهو على كل شىء قدير، والإنسان إذا تقرب إلى الله وأخلص له. كان عبدًا ربانيًا، فهو يمتثل أوامر الله، وهو سبحانه يجيب دعوة من دعاه، وليس فى مقدور أحد مهما كان، أن يحول بين الله وعباده، أو أن يحجر على شخص فلا يعبد الله أو يكون هناك من يصد الإنسان عن الطريق المستقيم لأن ذلك عدوان على الله وكفر به وحجر على حرية الشخص، ثم إنه لا سلطان لأحد على قلب المتعبد الخاشع لله فى محراب العبادة، فإذا كان الحق قد وصانا وأمرنا بعبادته، وبين لنا الطريق،

---

(١) سورة النساء الآية: ٣٦ .

ورسم لنا الخطة التى تحقق لنا كمال العبودية للخالق الرازق الذى بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، فلا عذر لأحد فى ترك العبادة، إلا إذا كان الشخص قد استحب العمى على الهدى، ومثل هذا شخص مغيب لا يفهم ولا يعقل ويلعب الشيطان به.

الوالــــدان

الوصية الثانية بعد الأمر بعبادة الله الإحسان إلى الوالدين، لأن الإحسان إليهما حق من حقوقهما، لما لهما من أثر فى وجود الأبناء، ولأنهما السبب المباشر فى إيجاد الفرد والقيام على أمره، كما أنهما يسهران على كفالته وتلبية مطالبه وتنشئته ورعايته حتى جاوز مرحلة الطفولة، ومرحلة الشباب ومرحلة الرجولة المبكرة، وطول حياتهما وهما يقومان برعاية المولود، ويَظلُّ فى نظرهما الطفل المحتاج إليهما، ومن هنا كان للأبوين حق فى عنق الأبناء، وهذا الحق توجبه المروءة، ويقتضيه العدل، لأنه كما يقول ربنا: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾[1] ثم إن هذا الحق يوجبه الدين وتقتضيه، الشريعة التى دعت إلى هذا الحق، وهو الإحسان إليهما الإحسان المطلق الذى يشمل كل الخير، والإحسان يكون بالقول، والعمل، والفعل لأن كل ما هو داخل فى الإحسان ينبغى على الأبناء أن يقدموه لآبائهم، وإلى هذا يشير الحق سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)** ﴾[2]، هذا هو جزاء الإحسان إلى الأبوين ورعاية أمرهما وكفالتهما، والعاق لوالديه، المانع خيره عنهما ملعون فى الدنيا والآخرة، وما

---

(١) سورة الرحمن الآية: ٦٠.

(٢) سورة الرعد الآيات: ٢١ - ٢٤.

يفعله بأبويه يفعله أبناؤه فيه، لأنه كما تدين تدان، وبالكيل الذى تكيل به لك تكتال، فالذنوب قد تؤخر ليوم الحساب، إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل به فى الدنيا علاوة على الخزى يوم القيامة.

وقد ذكروا أن شخصًا كان يعامل أباه بقسوة ويطرده إذا جلس معه على مائدة الطعام ويجعل الرجل يأكل وحده فى علب يعلوها الصدأ ويقول لزوجته لعل الميكروبات تدخل إلى معدته فتقتله، وكان لهما طفل صغير لم يبلغ العام العاشر من عمره، فى يوم دخل الأب إلى غرفة هذا الولد، ونظر تحت سريره، فوجد مجموعة من علب الصاج تحت سريره، فقال له: مداعبًا، لماذا تحتفظ بهذه العلب؟ فقال الولد ببراءة، ليعلوها الصدأ، فإذا كبرت أنا، وأصبحت أنت عجوزًا كجدى أطعمك فيها لتقتلك، فانزعج الرجل وقال: ليه يا ولدى وأنا والدك، وبحبك، وبجيب لك كل حاجة تحبها، قال الولد ببراءة متناهية: يا سلام، طيب ما هو جدى بيحبك وبيجيب لك كل حاجة، وأنت بتأكله فى مثل هذه العلب ولوحده، وأنا شفت جدى بيبكى ويقول: الله يسامحك يا ولدى، دا أنا أكلتك الشهد وحرمت نفسى علشانك، فقال الأب لولده: يا ولدى جدك كبر وبيخرف، قال الابن: لا، جدى عاقل لكن أنت اللى وحش، بكى الوالد، وذهب مسرعًا ودخل على والده الذى كان يجود بروحه وهو يقول: منك لله يا ابنى دا أنا مقصرتش فيك، وأنت كنت تعلم أن ظروفى المالية صعبة، وكنت أكل فى اليوم وجبة واحدة علشان أوفر لك، فانكب الولد على والده والطفل ينظر، وكان الجد قد أسلم روحه لبارئها، فجلس والد الطفل يبكى فطبطب الطفل على ظهر والده وقال: ما تزعلش أنا هعمل فيك كده برضه، وهعيط عليك يوم ما تموت، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ فى قوله: «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم»[1]، وفى حديث آخر: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم»[2]، إن كل شخص مطالب أن يحسن

(١) من حديث رواه الحاكم. (٢) رواه الطبرانى.

إلى أبويه، علمًا بأن الوالــدين فى حالة الكبر يحتاجان إلى الإحـسان بالكلمة الطيبة، والنظرة الحانية، والإشارة التى تدل على الحب وتنم عن حسن العلاقة وعدم التضجر منهما، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾** ﴾[1].

موقفان لا بد منهما

الموقف الأول هو: أمر من الـله لجميع البـشر أن يكَرِم كل شـخص أمه وأباه وأن يعلم كـل فرد علم اليقـين أنه وما ملكت يداه مـلْكٌ لأبويه، وهذا يدفعه إلى أن يقدم الخـير كل الخير لأبويه، وأن يحسن إليهـما إحسانًا فى كل شىء، ولا يمن عليهما ولا يفتخر أمام الناس بهذا، ومن الإحسان أن لا يرفع صوته عليهمـا ولا يتأفف ولا يتضجر وأن لا يجلس وأحدهـما يقف أمامه، ولا يضع رجلا على رجل فى حضرتهما، وفى زماننا هذا، لا يدخن السجائر ولا يمسك بالشيشة فى حضرتهما، ولا يدخل عـليهما حجرة نومهما إلا بعد الاستئذان منهمـا، ولا يفتش فى أوراقهما ومكتبهمـا ودولابهما، ولا يسمح لنفسه أن يغضبـهما مهما كان السبب، وأذكر قصـة لشاب كان لا يجلس مع أبويه على مائـدة الطعام، وإنما يقف لخدمتـهما فإذا نادى عليه ليـجلس تعلل بأى شىء، فلما سـئل عن ذلك، قال: أخاف أن أمد يدى إلى طعام تشـتهيه أنفســهما فأحاسـب على ذلك أمام ربى، وهو الـقائل لى: ﴿ **وَلا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ ونبهنى بقوله: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ ولقد حدث أن رجلاً كان يطوف بالكعبة وهو يحمل أمه على عنقه، فالتقى بسيدنا عمر بن الخطاب فقـال: يا أميـر المؤمنين هذه أمـى لا تمشى إلا على كـتفى ولا تنـام إلا على فخذى ولا تأكل إلا بيدى، ولا تقضى حاجتـها إلا بين يدى، أفقضيت حقها

(١) سورة الإسراء الآيتان: ٢٣ - ٢٤ .

يا بن الخطاب؟ فقال: لا، لأنها فعلت فيك ذلك وكانت تتمنى حياتك، وأنت تفعل ذلك فيها وتتمنى موتها، وشتان بين الأمرين، ثم إنك لم تقض حقها فى طلقة واحدة عند وضعك، إن الأمر من الله للناس أن يبذلوا مزيد اهتمامهم بالوالدين واحتفاء بقدرهما، وتنويها بفضلهما، لأنهما السبب المباشر فى إيجاد الانسان.

الموقف الثانى: الدعاء لهما بعد موتهما، والاستغفار لهما والترحم عليهما، وإذا كان لطف المعاشرة، ورقة الحديث لهما فى الحياة، فإن ذكرهما بعد الموت أمر مطلوب، لأن الذى خلّف لم يمت فذكرك لأبويك بعد موتهما امتداد لحياتهما، فقد ورد أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما «يعنى الدعاء» والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما «يعنى تنفيذ وصيتهما» من بعدهما وصلة الرحم «يعنى مودة وزيارة أقاربهما» التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[1].

النهى عن عقوق الوالدين

إن من يسىء إلى أبيه أو أمه فهو يسىء إلى نفسه لأن أبواب الخير ستغلق فى وجهه وتلاحقه اللعنة ويُحْرم من دخول الجنة ففى حديث رسول الله ﷺ: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة - مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذى يقر الخبث فى أهله»[2]، والله يلعنه، والملائكة تلعنه، والناس يلعنونه، ففى حديث رسول الله ﷺ قوله: «لعن الله سبعة من فوق سبع سموات وردد اللعن على واحد منهم ثلاثا، ولعنة كل واحد منهم تكفيه، **قال:** « ملعون من عمل عمل قوم لوط «ثلاث مرات» ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من عق والديه»[3].

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان.
(٢) رواه النسائى والبزار.
(٣) رواه الطبرانى والحاكم.

صلة الأقارب

قالوا قديمًا: «اللى مالوش خير فى أقاربه مالوش خير فى أى شخص. فانظر إلى أقاربك: الأم - الأب - الخالة - الخال - العمة - العم - الأخت - الأخ - الزوجة - الأولاد، وما يتفرع منهم جميعًا، فرعاية الأقارب ضرورة دينية واجتماعية ورحمة تدل على الخلق النبيل، فالمسلم كالشجرة الوارفة تُظل الأقرب فالأقرب، والأقارب أولى الناس بمعروفك وبرك، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: «يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها غيرهم، والذى نفسى بيده، لا ينظر الله إليه يوم القيامة»[١] وفى حديث آخر، قال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»[٢]، وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل إخوان أبيه بعده»[٣]، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: إنى أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهل لى من توبة؟ فقال: هل لك من أم؟ قال: لا، قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرها»[٤]، فذووا القربى هم من الإنسان وهو منهم، ولهم على الإنسان أكثر من حق، حق القرابة وحق الإسلام، ثم يأتى الجار القريب، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة، وحق الإنسانية، والجار غير المسلم له حق الجوار، وحق الإنسانية، والصديق له حق الصداقة وحق الإنسانية.

---

(١) أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) حديث متفق عليه.

(٣) رواه ابن حبان.

(٤) أخرجه أبو داود.

أعظم أساليب التطوع

من أعـظم أسـاليـب التطـوع وأنواعـهـا ما يـكون لوالـديك وأهـلك وأصدقائك، ففى حديث رسول الله ﷺ للرجل الذى قال له: يا رسول الله «إن لى مالا وولـدًا وإن أبى يحتاج مـالى، فقال: أنت ومـالك لأبيك»(١)، وجاء رجل إلى الـنبى ﷺ فاستأذن فـى الجهاد، فقـال: أحىّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد»(٢).

وأراد رجل أن يهاجر من مكة إلى المدينة أيـام الهجرة وقال لرسول الله ﷺ: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبوى يـبكيان، فقال: ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»(٣).

ولقد تزوج عبد الله بن عمر بن الخـطاب رضى الله عنهما امرأة سليطة اللسان لا تحب أهل زوجها وتـتعالى عليهم، وكان عبد الله بن عـمر يحبها، فقال له أبوه: طلقها، فرفض، فذكر عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ ذلك، فقال رسـول الله ﷺ لعبد الله «طـلقها» لأنها سـفيهة لا تحتـرم أهل زوجها وتتعالى عليهم ومثلها لا تصلح أبدًا لرعاية بيت ولا تربية أولاد.

السيدة أسمـاء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهـما تقول: «قدمت على أمى وهى مشركة فاستفـتيت رسول الله ﷺ وقلت: أفأصل أمى؟ قال: نعم، صلى أمك»(٤)، وقد مر بنا أن الخالة بمنزلة الأم، ذلك لأن الود يتوارث والعلاقة بين الأقارب ممتدة ودائمة على الحب والرعاية، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه»(٥).

---

(١) أخرجه الجماعة.
(٢) رواه النسائى.
(٣) رواه النسائى.
(٤) عند البخارى ومسلم.
(٥) أخرجه البخارى.

العدل بين الأبناء

إن من العطاء العدل بين الأبناء، لأن العدل بينهم يثبت المحبة فى قلوبهم ويساعدهم ذلك على تطهير نفوسهم من الحقد على بعضهم وعدم تمنى زوال النعمة من عند أحدهم ولهذا قال رسول الله ﷺ: «فاتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم»، وسبب هذا أن النعمان بن بشير رضي الله عنه تزوج امرأة جديدة فولدت له ولدا، فكتب لهذا الولد بستانًا عظيم الأشجار، فقالت الزوجة وهى «عمرة بنت رواحة»: لا أقبل هذا حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ، فجاء بالعقد إلى رسول الله ﷺ الذى سأله: «أعطيت سائر ولدك مثل هذ؟ قال: لا، فقال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» فرد عطيته.

إن تفضيل بعض الأولاد على بعض فى العطية لغير سبب شرعى حرام لأنه يؤدى إلى مفاسد وأضرار بليغة، لأن رسول الله ﷺ لم يشهد على عقد النعمان الذى فضل بعض الأولاد به وقال عنه أنه باطل، ولهذا تعددت روايات الحديث، ففى رواية: «أشهد عليه غيرى، فلا تشهدنى أنا فإنى لا أشهد على جور»، وفى رواية لسيدنا جابر: «فليس يصح هذا وإنى لا أشهد إلا على حق»، وفى رواية للشعبى: «اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر»، وفى رواية لأحدهم: «إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم»، وعند ابن مسعود قوله: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نعدل بين أولادنا حتى فى القبل»، إنه لا يجوز أن يميز والد أحد أولاده بشىء ذى بال يتوقع من ورائه ضررًا يلحق بسائر أولاده، أو يلحق الذى خص بشىء دونهم من غير ضرورة ملحة، إن الأب لا يدرى أى أولاده أنفع له لذلك وجب العدل والمساواة بين الأولاد، لقول الله سبحانه: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء الآية: ١١ .

يقول رسول الله ﷺ: «يا أمة محمد، والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته، ويصرفها إلى غيرهم، والذى نفسى بيده، لا ينظر الله إليه يوم القيامة»[1]، إن الآباء عليهم أن يعدلوا بين أبنائهم لا يفضلون الذكر على الأنثى، ولا الصغير على الكبير. ولا المقيم على المسافر، فهم منحة الله وعطيته وهو سبحانه المعطى الوهاب ﴿ **يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾** ﴾[2]، وتأمل فى تقديم الأنثى على الذكر لأن الخير فى قدومها والبركة بين يديها، إن الله سبحانه وتعالى قد شنع على أصحاب العقائد المنحرفة الذين يبغضون الأنثى، ويصابون بالاشمئزاز عند ولادتها، ويتضجرون من المرأة التى تلد الأنثى، ولهذا قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾** ﴾[3].

إن البنت هى أم الأبناء مستقبلا، وجالبة الأصهار، ومربية الأولاد التى إن أحسنت تربيتهم كانوا نماذج عظيمة، ورجالا يملئون العيون، لأنها أصلت فيهم أدب الحياة ، وحسن التعامل مع الناس، كيف يكون سيرهم فى الشارع، الحياء شيمتهم، والأمانة طبعهم، والصدق صفتهم، إن البركة فى مطلع البنت، والسعادة فى موقعها، فهى الزهرة الجميلة اليانعة المشرقة، لهذا رغب رسول الله ﷺ فى العناية بالبنت والحرص عليها وتعليمها ورعاية شأنها، وعد الرسول ﷺ من كبائر الذنوب أى يد تمتد إلى البنت فتقتل البسمة فيها، وتطمس معالم طفولتها، وتغتال الفرحة من بين جوانبها، إنه من التنطع من يستنكف عن إنجاب البنات، ولهذا قال ﷺ: «هلك المتنطعون»[4].

---

(١) رواه الطبرانى.
(٢) سورة الشورى الآيتان: ٤٩، ٥٠ .
(٣) سورة النحل الآيتان: ٥٨، ٥٩ .
(٤) رواه مسلم.

إن البنت هى عماد المجتمع وأساسه، فالبنت نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، وكل من لـه أخت أو زوجة أو أم أو بنت، فعليه أن يـصون كل ما تحت يده، فإن فرط وأهمل فقد خان الأمانة، وقد نبهنا الله وحذرنا من خيانة الأمانة وتضـييعهـا، لهذا قال سبـحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1].

إن كل مسئول عن الإناث عليـه أن يدرك أنهن أغلى وأثمن من جواهر الدنيا وكنوزها، وأن يدرك بأن الـبنت لها رسالة عظيمة وخطيـرة، فعليها أن تحرص على أدائها لنفسـها ولعائلاتها وبيتها ومجتمعـها، وعليها أن تردد قول جدتها فى الماضى:

أصـون عرضـى بمالـى لا أدنسـه　　　لا بارك الله بعد العرض فى المالِ

إن التربية الصالحة ليست كلمات جوفاء، وليست عصا ترفع، إن التربية التى أساسها قدوة صالحة، ومنهج واضح وأسرة متماسكة تنشىء الفتاة القوية الملتزمة التى تعرف حـق ربها وحق أسرتها وحق مجتمعهـا، وعليها أن تتعلم فالعلم نور، والعلم حياة القلوب، العلم الذى ينير البصائر، لأنه ما من رجل عظيم إلا وراءه امرأة عظيمـة عفيفة مهذبة متخلقـة بالأدب والحياء، لهذا كان الرجال فى ميدان العمل بينما النساء يقمن بحفظ الأمن الداخلى وتجهيز الأمن الغذائى، لهـذا كان الرجال ينصرفون إلـى أعمالهم وعندهم ثقـة فى نسائهم فيؤدون العمل بدقـة ومهارة وهم يشعرون بالأمن النفسـى والأمن الاجتماعى فخلفهم نساء قال عنهن الشاعر:

فلـو أن النسـاء كمثـل هـذى　　　لفضلـت النسـاء علـى الرجـال

فمـا التأنيث لاسـم الشمس عيـب　　　ومـا التذكيـر فخـر للهـلال

ثم إن الدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها - والأرض مؤنثة ومنها خلقت البشرية، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب، والنفس

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٧ .

مـؤنثة وهـى قِوام الأبدان، والجـنة مؤنـثة وبهـا وعد المـتقـون ويُنعم فـيهـا الصالحون، لهذا قال الشاعر:

الأم مدرسـة إذا أعددتهـا	أعـددت شعبًا طيب الأعراق

ونكتـفى بهذا، ونذكـر أحاديث نبى الإنسـانية وهادى الـبشرية سـيدنا محمـد ﷺ، وهو محرر المرأة وقـرر لها كافة حـقوقها، ورفع الغـبن عنها، ونادى فى الإنـسانية كـلها بقـوله: «ما أكرم المـرأة إلا كريم، وما أهانـها إلا لئيـم»، ويقول عليـه الصلاة والسلام: «خـيركم خيـركم لأهله وأنا خـيركم لأهلى»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا يفـرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها آخر»[2] إن الله سائل كل راع فيما اسـترعاه حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[3]، ويقول عليه الصلاة والسلام «من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة، قيل: يا رسول الله أو اثنتين، قـال: أو اثنتين، قال بعض القوم: وددت أن لو قـال أحد منا واحدة، فقال: واحدة»[4].

ويقول عليه الصلاة والسـلام: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتى قرابة يحتسب النفقـة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكـفيهما كانتا له سترا من النار»[5]، وقوله: «لأن يؤدب الـرجل ولده خير له من أن يـتصدق بصاع»[6]، هذه بعض أحاديـث رسول الله ﷺ التى ترغب فى تربـية البنات وتعهدهن بالرعاية والتوجيه والإحـسان إليهن، تبين لنا الثواب العظيم والأجر الكبـير من رب العالمين، فـإلى من يريد التـطوع بحق نقول له: ابـدأ بأهلك وجيرانك، فخيركم خيركم لأهله.

---

(١) رواه ابن حبان.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه ابن حبان.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه الطبرانى.
(٦) رواه الترمذى.

اليتيم والجار

اليتيم هو من فقد أباه، لأن الأب هو الراعى لأولاده والحامى لهم والكافل لحاجاتهم، وبفقد الأب يصبح الابن ضعيفًا حتى يبلغ السن التى تؤهله للاعتماد على نفسه، وقد جاء التنبيه والتوجيه من الله سبحانه لرعاية اليتيم رعاية تنم عن عاطفة طيبة ومعاملة حسنة من أى شخص تجاه الطفل اليتيم، وكان من توجيه الله سبحانه لأى إنسان أن يتصور أنه لو مات وترك أولادًا ماذا كان يرجو من الناس أن يفعلوه مع ولده، لأنهم بالتأكيد سيموتون كما مات هذا الميت وإنهم سيتركون من بعدهم أطفالاً ينضمون إلى موكب الأيتام، فلينتبهوا وعليهم أن يرعوا اليتامى، وليصونوا أموالهم ويعاملوهم كما يرجون أن يعامل الناس أبناءهم من بعدهم، وأن يبذل كل شخص جهده ليشارك فى رعاية اليتامى وإعدادهم إعدادًا صالحًا للحياة تمامًا كما يفعل الأب مع أبنائه، واقرأ قول الله سبحانه: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾[1]، ويقول رسول الله ﷺ: «من كفل يتيمًا له ذا قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو فى الجنة كهاتين وضم أصبعيه، ومن سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة، وكان له أجر المجاهد فى سبيل الله صائمًا قائمًا»[2]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من ضم يتيمًا بين مسلمين فى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة، ومن أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يبرهما دخل النار فأبعده الله»[3]، وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»[4]، وقال عليه الصلاة والسلام: «والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، ولان له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله»[5]، ويقول أيضًا: «الساعى على الأرملة

---

(١) سورة النساء الآية: ٩ .
(٢) رواه البزار.
(٣) رواه الطبرانى.
(٤) رواه الطبرانى.
(٥) رواه الطبرانى.

والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله -وأحسبه قال - وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»[1].

إن اليتامى فى دولة المسلمين، وبين المسلمين لا يشعرون باليتم، ولا يحسون بغيبة الأب، ولا يشعرون بأن أى شىء غاب عن دنياهم لأن إخوان أبيهم فى العقيدة والوطن والإنسانية يكفلونهم ويرعون شئونهم، ومن هنا كان توجيه القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (10)** ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)** ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[4]، إنه ليس بعد كلام الله كلام، لأن القرآن الكريم هو أصدق كتاب وآياته واضحة الدلالة بينة المعانى، ورسوله ﷺ الذى صان الله سبحانه لسانه عن الكذب، وطهره منه ونقى فؤاده وزكاه وبين منزلة معلمه فقال فى شأنه: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5)** ﴾[5]، والنبى العظيم سيدنا محمد ﷺ هو الصادق الأمين نصدقه فيما يخبرنا عن ربه سبحانه أن الجار كاليتيم، لهما عليك الرعاية، فكما هو مطلوب منك أن تعطف على اليتيم وتكفله وتهتم بمصالحه، عليك كذلك أن تهتم بجارك، تحمى عرضه، وتصون ماله وشرفه، ولا تؤذه بأى لون من أنواع الأذى حتى ولو برمى القمامة أمام بيته، وانظر إلى أدب رسول الله ﷺ وهو يثير انتباه الصحابة رضى الله عنهم إذ يقول لهم: ما تقولون فى الزنا؟ قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال الصادق الأمين ﷺ،

---

(1) رواه البخارى.
(2) سورة الضحى الآيتان: 9، 10 .
(3) سورة الماعون الآيات: 1 - 3 .
(4) سورة البقرة الآية: 220 .
(5) سورة النجم من الآيات: 1 - 5 .

لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره، ثم، قال لهم: ما تقولون فى السرقة؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهى حرام، قال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره»[١]، ولك أن تتأمل فى معالجة رسول الله ﷺ للجار السيء الذى يؤذى جاره ويحدد لنا من هو الجار، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله «إنى نزلت فى محلة بنى فلان - «يعنى حى»، وإن أشدهم إلى أذى أقربهم لى جوارًا، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم يأتون المسجد فيقومون على بابه، فيصيحون. ألا إن أربعين دارا جار ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه»[٢]، والبوائق - كل أنواع الشر الذى يصدر من الجار لجاره أو أى إساءة من الجار على جاره. . . كما روى عن النبى ﷺ أن رجلاً جاء إليه يشكو جاره فقال: «اطرح متاعك على طريق فطرحه - «يعنى أخرج متاع منزلك واجعله فى الطريق ليراه الناس» فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه - فجاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله لقيت من الناس، فقال: وما لقيت منهم، قال: يلعنوننى، قال: قد لعنك الله قبل الناس، فقال: إنى لا أعود، فجاء الذى شكا إلى النبى ﷺ فقال: ارفع متاعك، فقد كفيت»[٣]، فانظر كيف عالج رسول الله ﷺ أمر الرجل الذى ناله أذى جاره أن يخرج أثاث بيته ويضعه على الطريق، فكان الناس إذا مروا به سألوه ما هذا؟ فيقول: جارى يؤذينى فالناس تدعوا عليه وتلعنه، فالرجل، أحس أن الناس ظهر عليهم غضب وسخط على جار السوء السيء فى سيرته، الردىء فى فعله المؤذى جاره، لأن رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل عليه السلام يُوَصِّينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٤].

إن الإسلام اهتم بالجار وأمر بالإحسان إليه، وكل من يؤذى جاره فهو ميت الضمير، ضعيف الإيمان، ملعون من الناس، مطرود من رحمة الله،

---

(١) رواه أحمد والطبرانى.
(٢) رواه الطبرانى.
(٣) رواه الطبرانى.
(٤) رواه البخارى ومسلم.

غيـر مؤمن برسول اللـه ﷺ القائل: «من أغلق بـابه دون جاره مخافـة أهله ومالـه، فليس بمؤمـن، وليس بمؤمن من لـم يأمن جاره بـوائقه»، ثم يـقول رسول اللـه ﷺ لأبى هريرة رضي الله عنه راوى الحديـث «أتدرى ما حـق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقـرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خـير هنأته، وإذا أصابته مـصيبة عزيتـه، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان لتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فـاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج ولـدك ليغيظ بها ولده»[1] هذه الآداب التى يسوقها رسول الله ﷺ حتى تظل القلوب محبة لبـعضها، والنفوس قريبة، وحتى لا يكون هناك ما يـعكر الصفو ويكدر الحيـاة الاجتماعية، لهـذا قال رسول الله ﷺ: من يأخذ عنى هذه الكلمات فيفـعل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة: أنا يا رسول الله، فأخذ بيده فـعد خمسًا فقال - إتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بمـا قسم الله لك تكن أغنى النـاس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا - وأحب للناس ما تحب لنفسـك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[2]، إن التطوع فى عمل الخير يجعل الإنسان يبصّر الناس برعاية حرمة الجار والإحـسان إليه ومساعدته، لأن الجار للجار، والجار وإن جار، فعلى الإنسان أن يحسن إلـى جاره ليرضى عنه ربه، ويحبه الناس فأكمـل المؤمنين خلقا أحسنهم رعـاية لجيرانهم واضعين نـصب أعينهم توجيه القرآن الكريم وهدى نبينا الكريم سيدنا محمد ﷺ.

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣، ص٢٥٧ .

(٢) رواه البزار.

توقيـــر الكبيـــر

كبار الســن هم الذين تقدم بهم السن وتــخطوا السنين، علمتــهم الحياة واستفادوا من الأحداث الـتى مرت بهم وصقلت الأيام موهبتهــم، فأصبحوا من أصحــاب الخبرة فى الحــياة، والأمة التى تحــترم نفسهــا تهتم بكبــار السن وتعدهم ثروة فكرية تنتفع بها، لأن تجاربهــم فى الحياة وعملهم وما استفادوه طوال رحلتــهم تجعلهم أهلا لذلك، إن كــل إنسان عليه أن يدرك أنه ســيصل إلى هذه المرحلة السنية لو أطال الله فى عــمره، ولهذا أشار القرآن الكريم إلى المراحل التى يـتقلب فيهـا الإنسان، فقال سبـحانه: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾[1]، وكل إنسان عليه أن يؤهل نـفسه لهذه المرحلة وأن يعلم تمام العلم أن الوقوف عند سن معــينة أو مرحلة معينة لا يمكن أبدًا، لأن الأجيال يدفــع بعضها بعــضا، ولكل زمان دولة ورجال، لــهذا على كل شخص أن يســتعد، وأن يدرك أن المناصب لا تدوم، وأن الـكرسى لا ينفع، وإن كنت تظن أنها تدوم لك فهذا خيــال فاسد ووهم، لأنها لو دامت لغيرك ما وصلت إليك، لــهذا يجب علينا جميــعًا أن نهتم بكبار الســن نساعدهم، ونأخذ بـيدهم، ونكون فـى عونهم، فـفى حديث رســول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكــرام ذى الشيبــة المسلم»[2]، فأنت إذا كنت تحب الـله، وتحترم نفسك، فاحــترم الكبير عنك ووقــره، ففى الحديث: «من لم يرحم صــغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[3]، إن من المروءة وحسن الخلق مساعدة الكبير وتقديم ما يلــزمه من الرعاية والمساعدة، لأن رســول الله ﷺ نفى الإيمان عن الشخص الذى لا يمد يد العون إلى كبيــر السن فقال: «ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا»، إن المجــتمع العظيم هو الذى تظهر فيه روح الـتكافل والتعاطف مع كبار السن لأنــهم فئة من أقرب الناس إلينا، بل هم أعــز ما نملك، لأنهم

(١) سورة الروم الآية: ٥٤ .

(٢) من حديث رواه البخارى موقوفا.

(٣) رواه البخارى.

خدموا المجتمع فى رحلة حياتهم الأولى، ووضعوا لنا أسس العمل الإدارى والصناعى والزراعى والتجارى، ولولاهم ما كنا نحن، وإذا كانت الحياة محطات، فاعلم أنك سوف تصل إلى هذه المحطة التى ترى فيها المسن الآن فما تصنعه معه وأنت فى ريعان شبابك سوف يُصنع معك، واسمع معى إلى قول ابن عباس رضى الله عنهما وهو يوصى الشباب: «اطلبوا الغنى بإصلاح ما فى أيديكم».. ويقول ابن عباس أيضًا: «البركة مع أكابركم» ومن قول أحد الحكماء لأبنائه: «اتقوا الله وسودوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم أحيوا ذكر أبيهم، وإذا سودوا أصغرهم أزرى بهم ذلك فى أكفائهم» لأن الأخ الأكبر ينبغى أن يكون عند إخوته الأصغر منه بمنزلة الأب، ليظل التماسك الأسرى والتعاطف وكسب احترام الآخرين، ولقد حضر إلى رسول الله ﷺ جماعة مختلفون فى قضية، فأراد الأخ الأصغر أن يتكلم فقال رسول الله ﷺ: «كبر. كبر» أى اترك الكلام ليبدأ به الأكبر منك سنًا ليبين الأمر، وحديث ذلك فى البخارى، وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ طرح على أصحابه سؤالا لإثارة تفكيرهم، وتنبيههم إلى أشياء غائبة عنهم والالتفات إلى شرف الأمور فقال رسول الله ﷺ: «أخبرونى عن شجرة مثلها مثل المسلم تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها لا تَحُتُّ ورقها؟ قال ابن عمر رضى الله عنهما: «فوقع فى نفسى أنها النخلة» فكرهت أن اتكلم وفينا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما لم يتكلما قال النبى ﷺ: «هى النخلة» يقول ابن عمر رضى الله عنهما: «فلما خرجت مع أبى، قلت: يا أبى وقع فى نفسى أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها يا ولدى كان أحب إلى من كذا وكذا، قال الابن: منعنى أننى لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت، إن ابن عمر يرسى هنا قاعدة أدبية، أن الأكبر يفسح له المجال ولا يسارع الأصغر فى الحديث بين يديه، كما أن فى هذا الحديث قواعد تربوية عن طريق ضرب المثل وإشراك المتعلمين فى الأمور المعروضة قبل صبها فى الآذان وأدب الصغير مع الكبير، والمتعلم مع المعلم، وفرح الأب بنبوغ ولده.

إن الأب والأم والأخ والأخت والعم والخال وكل من تـقدم بهم السن، هم جميعًا فـى حاجة ماسـة إلى نظرة منـك، ملؤها الحب والحنـان، يعلو وجهك ابتـسامة طيـبة، وأن تُلين الكلام معـهم مع خفض الصـوت، كذلك أصحاب الـعاهات، عفانـا الله واياك منها، فـمن واجبك أن تسـاعدهم وأن تصبـر، وكما يقـول الله سبـحانه: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾[1].

إن كل شخص عليه أن يعلم أن ما يقـدمه لذوى الاحتياجات الخاصة، أو لكبار السن، سوف يرد عليه خـيرًا وبركة وإن لم يكن له فلولده، وأن من خَدَم يخدم، ولو فى أولاده، وما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه.

إذا كانت هذه المعـانى غابت عند بعض الناس فـأول درجات العطاء أن نذكر الـناس بها وأن نعيـدها فى نفوس الـناس جميـعًا ليتم التـراحم والمودة والألفـة، وعلينـا أن نذكر النـاس بمبدأ الـتعـاون والعطاء ليـكون الإنسـجام الاجتماعـى والتوافق بين بنى البشـر، إن أمتنا اليوم فى حاجـة إلى التواصل والتراحم، لأنها خير أمة أخرجت للناس، بقيمها الإيمانية، وتعاونها على البر والصلة، وتفاعـلها مع الأحداث البيئـية والدولية والعالميـة، والمسلم لا بد أن يكون عنده أمل فى غد مشرق، عنده ثقة فى الله، ثقة فى نفسه، يعمل دائمًا على صياغة عقله، ليلتزم بالثـوابت من أمور دينه، ويمشى بين الناس ويتعامل معهم بـخلق السماء وهو لا يفـرط أبدًا فى أداء العبادات ولا يهـمل فى سنن نبى الهدى والرشاد، ولا يجلس مع الذين يخوضون فى آيات الله بغير علم، إلا ليعلمهم برفق وحلم وسعة صدر.

---

(١) سورة الكهف الآية: ٢٨ .

إن عمر الإنسان لا يقاس بعدد السنين أو بما تحدده شهادة الميلاد، وإنما عمر الانسان تحدده مشاعره وأحاسيسه وقدرته على مواجهة الحياة، لذلك عليك أن تعيش حياتك بالطول والعرض، فطول حياتك عملك، قوة قلبك، سعة أفقك، أمل يملأ عليك أقطار نفسك، على وجهك ابتسامة الرضا فإن تبسمك فى وجه أخيك صدقة، والرضى بما قسمه الله لك، تحصيلك العلم من المهد إلى اللحد، وأما عرض عمرك، فهو حسن اختيارك لأصدقائك، حرصك على الزمن وعدم التفريط فى دقيقة واحدة وشعار ترفعه: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد - الواجبات أكثر من الأوقات، فاحرص على الزمن ولا تضيع دقيقة واحدة لأنه لن تزول قدمك من أرض المحشر حتى تسأل عن عمرك فيم أفنيته، لا تحمل فى قلبك حقدا على أحد، ولا تتمنى زوال النعمة من عند غيرك، لأن الله فضل بعضكم على بعض، فارض بما قسمه الله لك وتحلى بسلامة صدرك للناس جميعًا، إن الزمن هو رصيد حياتك فى بنك القدر وكل يوم يذهب لا يعود عليك أبدًا وما من يوم ينشق فجره إلا ومناد ينادى من قبل المشرق، يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمنى وتزود منى بعمل صالح، فإنى لا أعود عليك إلى يوم القيامة، أد واجبك بدقة ولا تهمل، أتقن صنعتك، ابتكر فى أساليب الأداء، كن منضبطا فى مواعيدك! فإن خُلف الميعاد علامة على النفاق، وصاحبه فى الدرك الأسفل من النار والعيشة النكد، لا تكذب فإن الكذب هو الآخر علامة على النفاق، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾** ﴾[1].

إن كل مسلم مطالب أن يتمسك بالأخلاق العالية، كالأمانة، والصدق، والمروءة، وأن يساعد غيره وأن يكون بارا بأهله، إن الذى يسهم بوقته ليعطى

(١) سورة طه الآيات: ١٢٤ - ١٢٦ .

غيره أى خدمة لا بد أن يكون على خلق من التراحم والتعاطف، والتعايش السلمى مع كل الكائنات ومع البشر فى سلام ومحبة وتبادل الاحترام، مع المواساة لمن نزلت بهم ضائقة، إن الشخص الذى يرجو رحمة ربه، ويخشى غضبه وعذابه ويطلب خلاص نفسه، ونجاة روحه، والفوز برحمة الله وعفوه، هو الذى يعبد ربه كأنه يراه، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره، ويعطى لكل ذى حق حقه، لا يتعامل مع المخدرات والمسكرات، ولا يلعب القمار، ولا يشارك فى لغو الكلام، وينظر فى عيوب نفسه قبل أن ينظر فى عيوب الآخرين، إن العبودية لله عز للنفوس، وطب للقلوب، وسعادة فى الدنيا، وفلاح فى الآخرة، فطوبى لمن ذاق طعم الإيمان الصحيح، وحلاوة اليقين، فنور الله بصيرته فصغرت الدنيا فى عينيه وأصبح بينه وبين الله حبْلٌ موصُول، فقدم خير ما عنده إلى أمته ومجتمعه، وهتف من أعماق قلبه: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا** ﴾[٢]، اللهم اجعلنا منهم برحمتك وفضلك يا أرحم الراحمين. ليكن لك فى كل أسبوع ساعة تتطوع فيها للعمل الاجتماعى الخيرى من خلال جمعية أو مؤسسة. المهم، أن تضع نصب عينيك أن التطوع شرف لك وفخر، وأن تعطى خير ما عندك إلى من يرغب.

وفقنا الله سبحانه لكل خير وجعلنا مهديين، ونور بصيرتنا، وهدانا سواء السبيل ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾.

(١) سورة طه الآية: ١١٢ .

التضحيـــة

كل إنسان فيه نزعـة من الشر ونزعة من الخير، مصداقـًا لما قاله لنا ربنا جل جلاله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (١).

فنزعة الشر إذا سيطرت على الإنسان يسمى «أنانى»، لأنه يحب الخير لنفسه ويحرص عـلى منفعـة ذاته، ولا يبالى بأى شـىء بعد ذلك. وشعـاره: أنا ومن بعدى الطوفـان. وإلى هذا أشار الحق سبحـانه وتعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴾(٢).

بهذا كان هذا المسلك الإنسانى من الأمور التى اقـتضتها الحكمة الإلهية فى الإنسان. وإذا تُرك الإنسان على هذه الأنانية فلن تجد فى الدنيا بأسرها إلا إنسانًا جشعـًا شحيحًا، لا ينفع غيره، بل كل همـه أن ينتفع هو ويربح، ولا يريد أن يعمل، وكـل ما يريده: "لى فقط" لأنه ضنين بما عنـده، متطلع إلى ما فى يدى غيره، وهذه النزعة الأنانية فـى الإنسان تؤثر على سلامة المجتمع وتعرضه لـلانهيار سريعًا، ثم إن عـجلة الرقى تتوقف، وإن شـمس الحضارة تغيب، وإن مـعالم الحق تنطمـس... لماذا؟!.. لأن ينابيع الخيـر من قلوب البشر غابت وسيطرت الأنانية..

وفى الإنسان كذلك بلا شك نـزعة خيرية اجتماعية فـطرية وبينها وبين نزعة الأنانية صراع.. لماذا؟!... لأن الإنسان الخـيِّر يتطلع إلى ما عند الله، وإلى حُب الناس، ذلك لأن المجـتمع الذى يعيش فيـه الناس، لا بد أن يبنى على أسس أهمهـا: (أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك).. (ما اسـتحق الحياة من عاش لنفسه فقط)..

والحـضارة تـشيـد بعـقـول أبناء المجـتمـع، وبأيديـهم وبسـواعـدهم وبتضحياتهم، وبالسواعد التى لا تتعب ولا تشكو لأن المجتمعات التى تنهض

---

(١) سورة الشمس الآيات من ٧ - ١٠.   (٢) سورة الإسراء الآية: ١٠٠.

دائمًا تجد فيها البشر، الواحد منهم يعطى قبل أن يأخذ، ويؤدى الواجب قبل أن يطلب الحق، ويطيب نفسا ببذل المال عند الحاجة وشعاره قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا** ﴾[1].

والإنسان الخيِّر بطبعه دائمًا يقدم مصلحة الأمة على مصلحة نفسه، ويرضى بالقليل، وينفق الكثير، وعندنا نماذج عظيمة فى هذا المثل، ونضرب مثلاً بمصعب بن عمير.. هذا الفتى الغنى العظيم نموذج للتضحية بالثروة فى سبيل الحق الذى آمن به، بل إنه ترك الاستمتاع بالحياة الدنيا فى سبيل رضاء الله وحُب رسوله لأنه نشأ فى الحلية بين أبوين كبيرين غنيين، وتربى فى الرفاهية والنعمة، لأن أبويه كانا يحبانه أشد الحب، ويحنوان عليه، ويكسوانه بأحسن اللباس، فهو فتى منعم مدلل، ترك هذه النعمة، ودخل فى الإسلام منذ اللحظة الأولى والعذاب يصب على من أسلم ومحاصراتهم والتضييق عليهم فأسلم وضحى بكل شىء فى سبيل الإسلام، وعاش حياة الخشونة والشدة، ولنا جميعًا أن نتأمل هذا الفتى المدلل، الذى نشر عليه أبواه أجنحة العطف والإيثار، والتدليل، وهاجر إلى المدينة المنورة، وكان هو أول سفير فى الإسلام، ولقد مثل الدبلوماسية بأعلى صورها وأجمل ما فيها من صدق وخير، يروى (ابن سعد) فى الطبقات الكبرى، عن محمد بن شراحبيل (أحد أقرباء مصعب) هذه الكلمات فيقول: (كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابًا وجمالاً، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه مليئة كثيرة المال، تكسوه أحسن ما يكون الثياب وأرقه، وكان يلبس الحضرمى من النعال، وكان أعطر أهل مكة - ؛ أى يستعمل من العطر أحسنه وأجوده وأغلاه..

ويقول خباب بن الأرت: هاجرنا مع رسول الله ﷺ، نبتغى وجه الله، فوجب أمرنا على الله، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير.. قتل يوم أحد فلم يوجد له شىء يكفيه (أى يكفن فيه)

---

(١) سورة المزمل الآية: ٢٠ .

إلا ملابسه الخشنة التى كان يلبسها، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اجعلوها مما يلى رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر: «غصون من شجر الإذخر المعروف بالجزيرة العربية».

ولقد وقف رسول الله ﷺ على هذا الفتى، وهو مقتول مسجى، فقال والدموع تزدحم فى عينيه: «لقد رأيتك بمكة، وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك (واللمة تسريحة الشعر) ثم أنت شعث الرأس فى برده».

وإذا كنا قد روينا لك قصة مصعب بن عمير أنعم فتيان أهل مكة فى الترف وبحبوحة العيش قبل الإسلام... هذا الفتى عندما هاجر من مكة إلى المدينة عاش فى ضيق وعدم قدرة على مواجهة الحياة حتى إنه لما مات لم يجدوا له كفنا. فننظر إلى الإيمان وصنعه فى قلب الإنسان الذى يتحلى بالصبر والعطاء لغيره والدعوة إلى الخير بكل أساليبها وأنواعها لماذا؟ خدمة للدين والوطن وللناس أجمعين، ولذلك نجد أنه ضحى بكل شىء فى سبيل الإيمان بالمبدأ الواضح، فإنى محدثك عن شخصية عظيمة فريدة ضحت بالمال ولم تبخل، وخاصة فى وقت الأزمة، لأن إدارة الأزمات فى المجتمع المسلم من الأمور المهمة، وكان الكل يتضافر للقضاء على هذه الأزمة مهما كانت..

إنه عبد الرحمن بن عوف الصحابى الجليل والشخصية النبيلة، هاجر من مكة وهو من الشخصيات المعدودة، وقد صادر الكفار ماله فهاجر فقيرًا، وليس له مال ولا معه متاع، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أحد من الأنصار، فالأنصارى أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف وقال له: يا أخى: إن لى حائطين (يعنى بستانين) فاختر أيهما شئت، فقال له: يا أخى.. بارك الله لك فى مالك، أنا رجل أجيد التجارة، دلنى على سوق المدينة.

وذهب عبد الرحمن إلى السوق، وباع واشترى وربح وكثر ماله، حتى كان من أغنى أغنياء المدينة، وباع أرضًا له فى يوم من الأيام بأربعين ألف

دينار، فقسمه على فقراء بنى زهرة لأنهم أخوال النبى ﷺ، كما روى أن تجارته قدمت من بلاد الشام يحملها سبعمائة جمل من البر والدقيق والطعام، فلما دخلت سُمع لأهل المدينة رجة، لأنهم كانوا فى مجاعة، فبلغ عائشة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عبد الرحمن لا يدخل الجنة إلا حبواً) فلما بلغه ذلك قال لأم المؤمنين: (يا أمه.. إنى أشهدك أنها بأحمالها وأحلاسها فى سبيل الله) [أخرجه الإمام أحمد من مسنده].

وهل أتاك قصة عثمان بن عفان؟ فقد جاءته قافلة من بلاد الشام تحمل أطعمة وأقمشة على مائة بعير، وكان جو المدينة يعيش فى شبه أزمة اقتصادية، فذهب تجار المدينة مسرعين إلى عثمان بن عفان، وقالوا له: يا عثمان، منزلة قرابتك من رسول الله ﷺ لا تنكر، ونحن تجار المدينة، وهذه قافلتك جئنا لنربحك فيها ٢٥٪، فقال لهم: هناك من زادنى، فقالوا له: نربحك خمسين فى المائة، فقال لهم: هناك من زادنى، فقالوا له: إذن نربحك مائة فى المائة، فقال لهم: هناك من زادنى، فقالوا: يا عثمان أنت رجل لك صحبة ولك مواقفك المشهودة، ليس هناك تجار قدّموا إليك مثل هذا العطاء، خاصة وأننا جميعًا تجار المدينة، فقال لهم: أنا بعتها لربى الذى منحنى على ذلك سبعمائة فى المائة، وقرأ عليهم قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(١)، وأشهدكم أيها التجار كما أشهدت ربى من قبل أننى تبرعت بها لأهل المدينة، كل يأخذ على حسب استحقاقه.

هذه نماذج فريدة، يقف التاريخ لها وقفة إجلال واحترام، بل وينحنى أمامها، لأنها شخصيات أسهمت بالعطاء، ولم تبخل بأى شىء، جادت بالنفس وبالمال، والمال أعز شىء فى الوجود..

ونذكر أن يعقوب بن محمد الزهرى حدث عن كثير من التابعين والصحابة، أن أهل المدينة كانوا عيالا على عبد الرحمن بن عوف، حيث

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٢ .

قسم أمواله إلى ثلاثة أقسام: ثلث يقضى به ديون المسلمين، وثلث يقرضهم منه، وثلث له ولأولاده وأقاربه.

فانظر إلى هذا العمل الجيد، الذى يجعلنا نتساءل اليوم: أين المسلمون من كل هذا؟... أين الاعتماد على الله والتوكل على الله؟! إن عدم الاهتمام بالواجبات الاجتماعية، وعدم تكييف النفس مع الواقع الذى نعيشه هو غياب الإيمان الحى الذى يختلط بالمشاعر ويحرك الأحاسيس ولكى يظهر الإنسان إيمانه بالله، الإيمان الذى يكون بداية للانطلاق إلى العمل الاجتماعى الجيد.. الإيمان الذى يكون له فى الإنسان عمق وعلى أعصابه تأثير.. إيمان تهتز له المشاعر وتنتفض له النفس الإنسانية بالعطاء والتطوع، تنصهر فيه الروح، وتُسخر له الجوارح، إيمان حى ذو طاقة حية تحرك الأحاسيس والمشاعر والأيدى الممسكة إلى الإنتاج والعطاء والمساهمة فى كل خير وتدفع إلى الرقى، فلا بد من مد يد المساعدة للمحتاج المعروف لنا لأن فى غياب الدين الحق تضطرب أمور الإنسان، وتميل كفتى الميزان ويدب الصراع الطبقى فى المجتمع.

إن القيام بالواجبات والآداب الاجتماعية نحو كل الناس هو مقتضى العقيدة الإنسانية، لأنه لا يتصور أبدًا أن يكون الإنسان المسلم العاقل فى مجتمعه مهمشًا، أو يعيش فى طى النسيان.. لهذا وجب علينا أن ننادى على أمتنا التى تترنح تحت أقدام الأعداء، وتصرخ وسياط الجبارين تهوى عليهم، فى هذا الجو الخانق، ننادى شبابنا: تعالوا إلى كلمة سواء.. أن نعبد الله وحده، وأن يكون عندنا اهتمام بالواجبات الاجتماعية ورعاية حقوق الآخرين، نتواضع فى غير ذل، ونعطى من حرمنا، ونصل من قطعنا، ونشكر من أحسن إلينا، ونتجاوز عمن أساء إلينا، حتى يتماسك الصف الاجتماعى بين الناس، وتزداد روابط الأخوة، ولن يتم ذلك إلا إذا أخذ كل واحد منا خطوة للأمام وهو واثق الخطى، لأنه يستشعر ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[1].

---

(١) سورة الرعد الآية: ١١ .

إن كل إنسان فينا فى هذه الحياة، يبحث عن أسباب الحياة المستقرة، المليئة بالبهجة والسرور والأمن والكفاية، والبيئة النظيفة، والمظهر الجميل، والحياة الطيبة، ولن يجد ذلك إلا فى جو يسوده العدل، يشعر فيه الشخص بالاستقرار والرضا، ويهنأ بالأمن.. من هنا.. كان البناء الإسلامى للمجتمع هو أفضل بناء حيث يقام على أسس قوية يجعل هذه الأمة سعيدة فى داخلها مرهوبة من أعدائها، لكننا إذا تهاونا فى واجباتنا الإجتماعية، وتراخينا عن القيام بالواجبات والآداب والمحافظة على القيم الدينية، فلا ندرى ماذا سيفعل الله بنا، ولكننا نقرأ قول الحق سبحانه: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾[1].

الضميــــر

الضمير فى الإنسان هو القوة الكاشفة التى تكشف له عن أصول الأشياء ومعادنها، وهذه القوة آمرة ناهية، محذرة محرضة، حاكمة منفذة، لهذا قال رسول الله ﷺ لمن جاء يسأله عن البر والإثم: «البر ما سكنت إليه النفس واطمئن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون»، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ۝١ **وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ۝٢ ﴾[2]، فالنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها إن قصَّر فى فعل الخير، وتؤنب صاحبها على فعل الشر، ولهذا قال الحسن البصرى رضي الله عنه فى تفسير هذه الآية: (لا تلقى المؤمن إلا يعاقب نفسه.. ما أردت بكلمتى؟! ما أردت بأكلتى؟! ماذا أردت بشربتى؟!).

ثم يقول: (المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خَفَّ الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا).

إن الضمير.. أو الوجدان.. أو القلب كل ذلك عماد الأخلاق

(١) سورة محمد الآية: ٣٨.

(٢) سورة القيامة الآيتان: ١، ٢.

وركيزتها الأولى.. والمجتمع لا يرقى ولا يسعد أفراده بسن القوانين، ويقظة رجال السلطة، وإنما يرقى ويسعد أبناؤه بوجود القلب الحى فى الإنسان ويقظة الضمائر بين البشر، لأنه من الحكم المشهورة: العدل ليس فى نص القانون وإنما هو فى ضمير القاضى.

وقال القائل:

لن يصلح القانون فينا رادعًا حتى نكون ذوى ضمائر تردع

إن الإنسان الذى يعتقد أن الله معه مطلع عليه يراه وهو مؤمن بأنه سوف يقف أمام هذا الإله العظيم فى يوم يحاسب فيه على ما قدم وصنع، فإذا استشعر هذا فإنه سوف يتقن صنعته، ويجود عمله، ويعطى للناس ويتطوع لخدمتهم، ويبذل خير ما عنده لإيمانه بقول الله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [1].

والرسول ﷺ عندما سئل عن الإحسان قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ولذلك عندما كان عمر بن الخطاب يتفقد رعيته بالليل ويتحسس أحوالها سمع امرأة تنادى على ابنتها: يا بنية قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء حتى نبيعه فى الصباح ونكسب.

فقالت البنت لأمها: أو ما علمت يا أماه أن أمير المؤمنين قد نهى عن وضع الماء على اللبن، وقال: من فعل ذلك جلدناه.

فقالت لها الأم: يا ابنتى وأين أمير المؤمنين، إنه يغط الآن فى نومه، وبيننا وبينه جدر كثيرة لا يرانا ولا يسمعنا.

فقالت البنت صاحبة الضمير الحى والأحاسيس اليقظة: إذا كان أمير المؤمنين يا أماه لا يرانا، فإن رب أمير المؤمنين يرانا.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٩٢ .

وكان لهذه الفتاة اليـقظة الضمير مكافأة سخية عظيـمة بأن زوجها عمر ابن الخطاب أحد أبنائه.

ثم.. كان عمر بن الخطاب تحمل إليه الـغنائم التى يخف حملها ويغلو ثمنها، وكان يحـملها جنود أخلصوا لله وللوطـن، لا يريدون جزاءً من أحد ولا شكورًا على ما يفعلون.

وفى يوم من الأيام، كـما روى الطبرى، حـمل إليه جندى عـادى أشعث أغبر من أثر السفر يحمل غنائم لا تحصى ولا تعد، فسأل عمر أحد الذين حملوا هذه الغنائم: أأنت الذى حملت إلينا هذه الغنائم وهل أخذت منها شيئًا..

قال الجندى البسيط: أما والله، لولا الـله، ما أتيتكم بشىء من ذلك لكن خوفى من الله وحبى للوطن وحرصى على حق المسلمين منعنى من ذلك.

فعرف الجميع أن الإسلام الذى سيطر على نفوسهم قوى فيهم الضمير، وبحكم هذا الضمير كان الـواحد منهم تحت يديه كنوز الأرض، ولكن لا يمد يده إليها وربما يكون فـى حاجة إلى قرش، ولكن ينفقها فـى سبيل الله وفى خدمة الوطن وصالح الناس لأنها مال عام.

وقد روى الإمـام الغزالى فى كـتابه: «إحيـاء علوم الدين، فى كـتاب الكسب»: أن التجار عـادة يغلب عليهم حُب الكسب إلى حـد الجشع حينًا، وأن محمد بن المنكدر كـان له شقق بعضها بخمسة دراهم، وبعـضها بعشرة، وفى غيبة محـمد باع غلامه لأحد الأعراب شقة من التى ثمنـها خمسة وأخذ منه عـشرة، فلما عـاد ابن المنكدر، لم يزل يبـحث عن الأعرابى المشـترى، ومضى فى ذلك أياما حتى عثر عليه، وقال له: إن الغلام قد أخطأ وباعك ما يساوى خمسة بعشرة..

قال الإعرابى: يا هذا... إنى رضيت.

فقال: إن كنت رضيت فإنا لن نرضى لك إلا مـا نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث: إما أن ترد شقتنا وتأخـذ دراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة،

وإما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك.

هكذا يجب أن يتعايش الناس ولسان حالهم يقول ما قاله القائل:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

إن الضمير فى الإنسان يستمد مقوماته من الإيمان الذى هو أقوى مولد يغذيه ويمده بالتيار الذى يمنحه الضوء والحرارة والقوة المحركة، وسوف نقف أمام سلطان العادة وسلطان الإيمان:

فسلطان العادة: هو أننا نؤمن أن كل إنسان خرج إلى هذا العالم وهو مجهز بكثير من الآلات، عين تبصر .. أذن تسمع... غرائز .. معدة تهضم، فهذا هو الذى ولدنا عليه وورثناه عن آبائنا وأجدادنا ولكل هذه الأشياء سلطان كبير على الإنسان، فلو حاول الإنسان أن يبصر بأذنيه ويسمع بعينيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، إذًا هو هنا خاضع لسلطان العادة، وهذه لا إرادة لنا فيها.

ولكن الإنسان بطبيعته يدخل على نفسه عادات اجتماعية فإذا كانت عادات صالحة سعد وأسعد من حوله... كأن يأكل الشىء الذى يحفظ على جسده صحته، ويشرب الشىء الذى يحفظ عليه نضارة وجهه، ويلبس الشىء الذى يسعد به، وفى نفس الوقت يستطيع أن يطور كل ذلك، حسب التقدم الزراعى والعلمى وما شاكل ذلك.

أما سلطان الإيمان فهو أن نتمسك بالقيم الدينية التى أمرنا ربنا بها ووصلت إلينا عن طريق الرسل والأنبياء... فالصلاة مثلاً أمر الله بها الأنبياء من عهد آدم إلى سيدنا محمد لأنها تصل الإنسان بربه وتوطد العلاقة بين الإنسان وأهل حيه وتفجر فى أعماقه ينبوع السعادة الدائمة وراحة الضمير وهدوء السر، وكل عبادات الإسلام التى جاء بها الأنبياء تفعل ذلك فى

نفوس مـؤديها لأن المؤمن يستـمد قوته من اللـه ومن إخوانه الذين يعـيشون معه. فهو يشعر بأنهم له وهو لهم يساعدونه، ويحفظونه فى غيبته، ويواسونه إذا نزل به غم أو فـاجأته مصـيبة، ويسـاندونه إذا تعثـرت قدماه، لهذا شـبه رسول الله ﷺ قوة المؤمنين مع بعضهم بأنهم كالبنيان المرصوص، لأن المؤمن بإخوانه كاللبنة فى البناء، فقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

والمعروف أن اللبنة وحدها ضعيفة مقدور عليها، لكنها عندما توضع فى البناء تكون قوية لأنها ارتبطت بغيرها ارتباطًا لا ينفصل، وأصبحت جزءًا من كل لا يسهل كسرها ولا زحـزحتها عن موقعها، فإن قوتـها من قوة البنيان، لذلك ذكروا أن جيشًـا من المسلمين عبر نهرًا لملاقات الـعدو، وكان العدو فى الجانب الثانى ينظر إلى جيش المسلمين الذى عبر النهر، وفى وسط النهر شهد العدو مـشهدًا أذهلهـم وأضعف الروح المعنويـة لديهم، شهدوا أن المـسلمين يغوصون فى جوف الماء مرة واحدة كأنما غرقوا ثم ظهروا فجأة فسأل الأعداء: ما شأنهم؟ فعرفـوا أن رجلاً من المسلمين سقط «قعبُه» «زمزمـية المياه» فصاح قعبى سقط، فغاصوا يبحثون عنه، فقال الأعداء فى ذهول: إذا كانوا يصنعون ذلك من أجـل قعب فمـاذا يصنعـون بنا إذا قتـلنا أحدهم، وفَـت ذلك من عضدهم وسيطر الخوف عليهم وكان ذلك سبب لانتصار المسلمين، لأن المسلم يشعر دائمًا أنه إذا حارب جيشًا كان كل فرد يشعر بأنه المقاتل الوحيد لأن كل من معـه من الجيش يعـيش بداخله. فهـو يقاتل بقـوتهم فى نفسـه ويضرب بأيديهم وليس بشخـصه فقط، إن المؤمن يستمد قوتـه بعد الله من الخلود فى دار النعيم فـهو يوقن بأنه بعد الموت بـعث ونشور، وبعد ذلك جنة عـرضها السمـوات والأرض فيهـا النعيـم المقيم، لهـذا فإن حيـاته ليسـت هذه الأيام المعـدودة فى الأماكن المحـدودة، وإنما حيـاته عند ربه يـوم تجد كل نفـس ما قدمت وشعاره الذى يردده:

إن الإنسان الذى يؤمن بأن الإسلام الذى يعتنقه هو فى الكيان الاجتماعى روابط أخوية لأن الناس كلهم أولاد آدم وحواء، وهو فى الإطار الإنسانى مظلة عدالة، إن الإسلام وسع الإنسانية كلها وكرمها، وجعل التباغض بين الناس ألفة، والتفرقة تجمع ووحدة، والتباعد تقارب ومودة.

لذلك كان العمل الاجتماعى فيه مساس بحياة الناس جميعًا، ولذا فإن أنظارهم متجهة إليه، وذلك عكس العمل التعبدى الذى لا يهتم به أحد من الناس حيث إن من السهل أن يمارس الشخص تعبده دون أن يتعرض له أحد من الناس، لكن عندما ينطلق الإنسان ليختلط بالمجتمع ويقوم بدوره الاجتماعى، يراقب ربه، وضميره ويؤدى دوره فى بناء لبنات المجتمع بالخير والعطاء، فيواسى المرضى ويكسو العارى ويطعم الجائع، فهو عندئذ فى معركة يحتاج إلى سلاح، وأعظم سلاح يتدرب عليه جنود العمل الاجتماعى هو «الإيمان» الذى يسيطر على أنفسهم لأن الوصول إلى الهدف «تغيير الوضع الاجتماعى» من السلبية إلى الإيجابية ليس سهلاً ولا ميسورا وليس كلامًا أو شعارات جوفاء وخطبًا، وإنما هو إصلاح المفاهيم، وإصلاح السلوك والمعاملة، إن العمل الاجتماعى هو المصنع الذى يصنع الشخصية السوية التى عندها ضمير نظيف وقلب حى ومشاعر وأحاسيس يقظة ومرهفة.

الإصلاح بين الناس

من أجمل خصائص العمل الاجتماعى - الإصلاح بين المتخاصمين، لأنه ليس أضر على المجتمع من وقوع الخصومة بين بعض الناس وبعضهم، هذا يتربص بهذا، وهذا يريد أن يفتك بالآخر، والإسلام يحرص أشد الحرص على إزالة أسباب الخصومات، فالوقاية خير من العلاج. لهذا أمر

الإسلام الناس أن يتآخوا ولا يتفرقوا، يتحابوا ولا يتنافروا، فعلى كل الذى يتعرض للعمل الإجتماعى أن يسارع إلى المتخاصمين يمشى بينهم بالخير يطفئ نار الحقد. ويقتلع المرارة من نفوسهم ويمنع الغيبة من بينهم، فى نفس الوقت لا يحقر أى شخص مهما كان، ولهذا قال الله سبحانه مبينا لنا أن الإصلاح بين الناس من خير الأعمال وأفضلها وأعلاها منزلة فى دنيا الناس وعند الله، لهذا قال ربنا جل جلاله: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[1].

والإصلاح بين الناس هو إزالة ما بينهم من النفرة والخصام، يقول الله سبحانه: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[3].

إن كل مسلم مطالب أن يسعى بين المتخاصمين يصلح بينهم ويجدد المودة لبعضهم وفى قلوبهم، الصلح بين الرجل وأهله، بين الجار وجاره، بين أى إنسان، والذى يقوم بالصلح عليه أن يطهر قلبه وينوى بسعيه وجه الله ولا يكل ولا يمل، ففى حديث رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة: أى هى المصيبة التى تهلك الناس وتستأصلهم»[4].

ويجوز للذى يقوم بالصلح بين الناس أن ينقل كلام أحد المتخاصمين غير ما قاله، كأن يسب شخص شخصًا أمام المصلح، فيقول: إن المشتوم يقصد خصمه فيقوم المصلح ويقول للمشتوم: إن الرجل مدحك وشكر فيك وقال عنك كلامًا طيبًا، وفى مثل هذا جاء حديث رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرًا أو يقول خيرًا»[5].

---

(١) سورة النساء الآية: ١١٤.
(٢) سورة الأنفال الآية: ١.
(٣) سورة الحجرات الآية: ١٠.
(٤) رواه أبو داود والترمذى.
(٥) رواه البخارى ومسلم.

التواضـــع

من القيم الأخلاقية النبيلة التى يجب أن يتسم بها كل شخص يعمل فى المجال الإجتـماعى، لأن الشخص المتواضع مـحبوب من الناس يقـتربون منه ويشكون إلـيه آلامهم، وهو علـيه أن يكون مسـتمعًـا جيدًا يشخـص العلاج للحالة التى يستمع إليها بسعة صدر وحلم حتى ولو ورد فى كلام المتحدث ما يسئ إلى هذا الشخص الاجـتماعى فعليه أن يتسامح ويتـسع صدره لهذا قال ربنا سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)** ﴾(١)، وقد وصف الله عباده المؤمنين الواصلين إلى مـقام العبودية وشرفـها بأنهم هم الذين إذا مـشوا على الأرض كان مشـيهم بسكينة ووقـار وتواضع، فلا تكبـر ولا خيلاء فى مشيـتهم ولا تعالـى على أحد ولا افتـخار، وهم يتحـملون أذى الغيـر وصلفه وغشـمه، ويتساهلون مع الـناس، وإذا خاطبهم الجاهلون الحمقى بمـا يسوؤهم قالوا فى أنفسهم: «سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين»، وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾(٢)، ويقول الحق تباركت أسماؤه: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حـتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»(٤)، ويقول عليه الصلاة والسـلام: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٥).

إن الذى يعـمل فى المجال الاجـتماعى لا يمن عـلى الناس بعـمله، بل عليه أن يكتم أسرار المتعاملين معـه، لأنهم ائتمنوه على أسرارهم، وباحوا له

---

(١) سورة آل عمران الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.
(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٣.
(٣) سورة القصص الآية: ٥٥.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذى.

بما فى قلوبهم لأن ذلك من الأمــانة التى أمرنا الله بالحفاظ علــيها وفى نفس الوقت من الخلق الطيب والله سبــحانه وتعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)** ﴾[2].

إن نجاح العمل الاجتــماعى وجذب الجماهير يحتــاج إلى شخص يتسم بالرحمة والعفة ونبل الأخلاق لأن الجــماهير لها ذوق خاص تدرك به الصادق من الكاذب، والأمين من الخائن، ومن يعمل لا يخدع نفسه لأنه لو تمكن من خداع الجماهيــر فلن يتمكن أبدًا من خداع الله جل جــلاله، ولهذا مدح الله رسوله سيدنا محمد ﷺ بقوله: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾[3].

النظافــة

كل إنسان له فى الحياة آمال طويلة وعريضة، والأمل شيء لا بد له من مصدر، وأهم مصــادر الأمل، أمن النفس، واستقرار البدن والشــعور بالرضا والسكينة، وهنا يكون الأمل قوة دافعة للعــمل واستثمار الوقت فى كل عمل نافع ومفيد، والشخص فى سيرته يردد (ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل)، لهذا فــإن العامل فى المجال الاجتــماعى يجد أن الأمل شيء لــه مذاق لذيذ،

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٧ .
(٢) سورة البقرة الآيتان: ٢٦٣، ٢٦٤ .
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٩ .

ومعــان جميلة، وهــو نور لا ينطفئ، به يتــغلب الإنسان عــلى اليأس فيــجد ويجتهد لأن السعادة لا ينالها الــفرد إلا بالسعى والطلب، وهو لا يتشاءم ولا يتبرم، وهذا دليل العقل الناضج.

ولما كان العقل الــسليم فى الجسم السليم، والإنســان عنده أمل فى غد مشرق بالخير أحسن من اليوم لزم الأمر أن نهتم بأجسادنا ننظفها، لأن النظافة من الإيمان، وننظف عقولنا من الخرافات لأن صحة الأجسام وجمالها متوقف على ذلــك، ولن يكون الشــخص مــحترمــا فى نفــسه إلا إذا تعــهد جــسده بالنظافة، وشعره بالتهذيب، لأن ذلك سيكون له أثر عميق فى تزكية النفس، وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحــياة، فرسول الله ﷺ يقول: «من كان له شعر فــليكرمه»[1]. وقال أبو قتــادة يا رسول الله: إن لى جمة أفــأرجلها؟ قال: نعم وأكرمهــا، فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليــوم مرتين من أجل قول رسول الله ﷺ» [2].

فتسريح الشعر وتعطيره سنة حسنة، إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً رأسه شعث فقــال: «أما وجد هذا ما يسكــن به شعره»[3]، ورسول الله ﷺ رأى رجلاً عليه ثياب وسخة، فقــال: «أما يجد هذا ما يغسل ثوبه»، ودخل رجل على رسول الله ﷺ وهو ثائر الشعر واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال رسول الله ﷺ: اليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»[4].

لقــد كان رسول الــله ﷺ دقيق المــلاحظة وعــينه دائمًــا على أصحــابه يرشدهم ويوجههم إلى تحسين هيأتهم وتهــذيب شعر رأسهم ولحيتهم، حيث يتجمل الإنــسان ويتنظف، كما أن الأناقــة فى غير سرف، والتجــمل فى غير

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه النسائى.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه الإمام مالك.

تزويق، وإحسان الشكل، مع نظافة اللسان وعدم التطاول على الآخرين وخدش حيائهم، وعدم الغيبة والنميمة، علاوة على طهارة القلب وسلامته من الحقد والحسد والكراهية للناس - كل ذلك من هدى الإسلام وتوجيهات نبيه ﷺ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، فقال النبى ﷺ: إن الله تعالى جميل يحب الجمال»[1]، إن الجسم الصحيح له أثر فى سلامة التفكير والتطلع إلى الحياة بأمل باسم وغد مشرق والتفاؤل الملىء بالآمال والخير والسعادة، لهذا كان عناية الإسلام بالنظافة والصحة عناية كبيرة لأنه يتطلب أجسامًا قوية تجرى فى عروقها دماء نظيفة ليتحقق لها العافية، ويمتلئ أصحابها قوة ونشاطًا، إن رسالة الإسلام أوسع فى أهدافها ولن يتحقق ذلك بأجساد نحيفة مرهقة تعلوها قترة بسبب الوساخة والأقذار، ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وكان جميلاً، فقال يا رسول الله: إنى أحب الجمال وقد أعطيت منه ما ترى منى ما أحب أن يفوتنى أحد بشراك نعل، أفمن الكبر ذلك يا رسول الله؟ قال: لا - ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس، يعنى التعالى عليهم واحتقارهم إنه من باب الترغيب فى النظافة قال رسول الله ﷺ «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»[2]، ونبه على نظافة الفم وإخراج فضلات الطعام من بين الأسنان فقال ﷺ: «تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه فى الجنة»[3]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب، ما جاءنى جبريل إلا وأوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى»[4].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه الطبرانى.
(٤) رواه ابن ماجه.

لهذا أنصفت دار الإفتاء حين أصدرت الفتوى بأن الدخان حرام «السجائر والشيشة والنرجيلة والبيبة والنشوق» لأن كل هذه الأشياء تترك رائحة كريهة جدًا فى الفم والأنف علاوة على المال الذى يضيع فى هذه الأشياء التى تدمر الصحة وتهلك بدن الإنسان وتصيبه بالأمراض العديدة وتلوث البيئة، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴿٢٦﴾ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا** ﴾[3]، ثم إنه من المعلوم أن السيجارة هى البوابة الملكية للدخول إلى عالم المخدرات التى هى جريمة لا يقرها الدين ولا المجتمع لأن المخدرات تقتل النخوة عند من يتعاطاها، والإسلام حرم هذه الأشياء: البانجو ، الحشيش، الأفيون، الكوكايين وكل الحبوب المصنعة المجرمة قانونًا من يتعاطى هذه الأشياء فهو فاسق زنديق مبتدع، زوجته طالق، إن مات، لا يغسل ولا يصلى عليه، هذه المعلومات قالها ابن تيمية فى فتاواه وغائبة عن شبابنا لأن أعداءنا يدفعون بهذه الأشياء ويروجونها بينهم سرًا . لهذا، وجب على الشخص الذى يعمل فى الحقل الاجتماعى أن يكون قدوة حسنة أمام الناس جميعًا وأن يتنزه عن هذه الأشياء وأن يقول لمن يتعامل مع هذه الأشياء: لو أنك تصدقت بثمنها لإطعام جائع أو كساء عار أو علاج مريض فأنت استثمرت أموالك أحسن استثمار، وحافظت على نضارة وجهك وجمال جسدك وصحتك، وتعيش بين الناس محمودًا وعند الله مباركًا كريمًا وفى نفسك سعيدًا متفائلاً عندك أمل واسع فى غد مشرق بالبهجة والسرور.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٣١ .

(٢) سورة الإسراء الآيتان: ٢٦، ٢٧ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٥ .

السلام الاجتماعى

إن السلام الاجتماعى هو القاعدة الأساسية لبناء الفكر المستنير، وحسن الجوار، وتدعيم روابط الأخوة، لأن السلام الاجتماعى هو الركيزة الأساسية لبناء مجتمع التكافل والتراحم، ولقد اهتم الإسلام اهتمامًا لا حد له بتحقيق السلام الاجتماعى لأنه فى ظله يتحقق الأمن الداخلى والاستقرار الأسرى، وفى ظله تنطلق دفة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصناعية والزراعية. وكل ذلك يسير بدقة وعدالة مطلقة لأن المبادئ النبيلة والأخلاق العالية والأدب الرفيع أسس قوية لنشر السلام الاجتماعى. ثم إن الإسلام لا يعرف العنصرية بجميع أشكالها، ويمقت التعصب ولا يقره، ويدعو إلى الحوار الهادف البناء ليتعايش الناس جميعًا فى ظل أخوة ومحبة.

ومن هنا كان السلام الاجتماعى يحتاج دائمًا إلى تيار من الوعى والتثقيف حتى يمكن خلق مناخ اجتماعى يتسم بسلام الإنسان مع نفسه، وسلامه مع جيرانه. وسلامه مع كافة الناس، ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «لن تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على ما تحبون عليه - أفشوا السلام بينكم، والذى نفسى بيده، لا تدخلون الجنة حتى تراحموا - قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم خاصة، ولكن رحمة العامة»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام»[2].

إن الإنسان اجتماعى بطبعه يألف الناس والناس تألفه، لا يعيش بمعزل عن الناس ومن المؤكد أن العلاقات الاجتماعية لا تفرضها اللوائح ولا القوانين، وإنما تنبع من كيان الشخص نفسه: - دينه - ضميره - ثقافته - فكره، إن الشخص إذا تكيف مع نفسه عرف كيف يحقق السلام، ويطهر قلبه من الغل والحسد والصراعات المعنوية ويؤدى ذلك البعد عن الصراعات المادية، والتكالب على جمع المال، والوصول إلى المناصب على حساب الآخرين، وهو فى دوامة الصراعات

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك.

(٢) أخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب ص٣.

يحـتاج إلى قـيم تقوى عـزمه وتشـد أزره ولن يسـتطيع ذلك إلا إذا تمسك بالإيمان وتسلح باليقـين . إن الأديان هى التى تولى الإنسان عناية فائـقة ليعـمل على صقل وجدانه بدوافع الإيمان بحيث إذا تم الصلح بين الإنسان ونفـسه . استطاع أن يتعامل مع أهله وأقـاربه بمحبة وتـآلف لأن الأديان تؤكد على حـسن العلاقة بـين الإنسان وأقاربه فـفى ظل هذه العلاقات الطيـبة بين أفراد الأسرة يـفرد السلام الاجتـماعى جناحيه وتقوى الروابط الاجتماعية على أسس متينة من رعاية الحق والتعامل بمهارة فى إعطاء كل ذى حق حقه ، عند ئذ يتعايش الشخص مع جيرانه فى أمن وسلام لأنه يعرف للجار حـقه ولو كان على غير دينه ، لأن الأديان السمـاوية كلها وضعت من التشريع والمبادئ العامة ما يوائم واقع الأمم والشعوب بحيث نتعايش فى أمن ومحبة وتسامح وسلام .

أديـان السمــاء

هى التى نزلت على الأنبياء والمرسلين من عند اللـه ، وقام الرسل بإبلاغها إلى قومـهم . ورسالات السـماء وضعت أحكامًـا تنظم علاقـات الأفراد والجمـاعات والدول فيـما بينهم تنظيـمًا مبنيًـا على أسس تتسم بالصـلاحية مع تنظيم الحـقوق والواجـبات مع إمكان التـعـامل بها فى يسـر وسلام وعـدم التـصادم مع الكيـان الإنسانى ، والشـرائع السماوية وضعت الخطوط الـعريضة التى يجب التمـسك بها عند التعامل فلا غش ولا تدليس ؛ وإنما الأساس فى التعامل «أن تحب للناس ما تحبه لنفسك» وقد تـركت الشرائع السماوية مجـالاً للعقل البشرى كى يسـتطيع المواءمة الدائمة ليواجه المتـجدد والمتغير من قضايا فـقهية وعلمية وصناعيـة وزراعية بحيث يتحقق التطور فى ظل إعمال الفكر مع فتح باب الاجـتهاد لرقى الأمة وتقدمها . إنه فى حالة الاهتـمام بعناصر الإنتاج نجـد أن الأديان السماوية لا تهـمل الفرد لأنه هو المحـرك الأول لعناصر الإنـتاج مع تنظيم الـعمل وتوزيع الناتج الـقومى بالمسـاواة والعدل لأن ذلك هو الدعامة الـقوية التى عليها تشيد الأمم والشعـوب بنيانها بدون أدنى خوف من تداعى السـلام العالمى ، لأن الأديان تؤكد على ارتباط سـعادة الفرد ونجاح الأمم ورقـيها مرتهـن بالعمل وتحقيق الـعدل والمساواة والإحسـان وأن فوز

الإنســان فى الآخرة مــرتبط بالعــمل الجـاد والتخطيط . إن قــوانين الله فى الجــزاء واحدة ، ورب الدنيا هو رب الآخرة وهو القائل لنا فى القرآن الكريم : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾** ﴾[1] وسنة الله لا تتغيــر ولا تتبدل ، وسنة الله أن الأرض يرثها الصــالحون لعمارتهــا الفالحون فى الإنتاج ، يقول الحق سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾** ﴾[2] .

وسنة الله سبحــانه فى الكون لا تفرق فى الجزاء بين مؤمن وكافــر ، فمن يعمل فله أجره وجزاؤه ومــن قعد وتكاسل فلن يظفر بما يريد مــهما كان دينه أو اعــتقاده ، لأن من عمل أُجر . إن رسالات الأنبياء هذبت الطبائع البشرية وبينت أن الطمع فى النفوس الجشعة التى تحب أن تحمــد بما لا تفعل تحطم الشخص وتقضى على مطامعه وتذيقه عــذاب الحريق ، وقال القــرآن يخاطب أتباع ســيدنا محمــد ﷺ وهو خاتم الأنبياء فيقول لهم : ﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾** ﴾[3] .

إن الإيمان لا بد أن يقترن بالعمل فليس الإيمان بــالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ؛ العمل للدنيا كالعمل للآخرة فــهما متلازمان لهذا فالإنسان العاقل هو الذى يعمل لــدنياه كأنه يعــيش أبدًا ويعمل لآخرته كــأنه يموت غدًا ولهــذا يقال لأهل الجنة يــوم القيامــة : ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[3] إن لبنات المجتمع هى أنا وأنت ، وهو وهى . فإذا صلحت أنفسنا صلح المجتمع كله ومفتاح ذلك الصلاح النفسى والخلقى أساسه شىء واحد هو الإيمان الذى يدعو إلى السلام الاجتماعى ، فإذا كان الشخص تــاجرًا فهو الصادق الأمين ، وإذا كان موظفًا إداريًا أدى واجبه بــدقة وأمانة فلا يتهــرب ولا يؤخر عمل اليــوم إلى غد ، وإذا كان الشخص فقيرًا فهو شــريف لا يأخذ رشوة ولا يسرق من المال العام ، وإذا كان الفرد غنيًا فــهو الســخى الكريم – والكل مهــذب العبارة لســانه وراء عقله لا يتــسرع ولا

(١) سورة الزلزلة الآيتان : ٧ – ٨ . (٢) سورة الأنبياء الآيتان : ١٠٥ – ١٠٦ .
(٣) سورة النساء الآيتان : ١٢٣ – ١٢٤ . (٤) سورة الزخرف الآية : ٧٢ .

يتعصب لأن الـرحمة فى قلبه والفهم فـى عقله والهدوء فى أعصابـه، ولهذا قيل: «أقيموا دولة الإسلام فى أنفسكم تقم على أرضكم».

من أقوال سيدنا عيسى عليه السلام

لكى يكون السلام الاجتماعى ذا أثر فعال نورد بعض أقوال السيد المسيح عليه السلام الذى جاء داعيا للصفاء الروحى ونشر الرحمة فى الأرض وأن يتعامل الناس بالرفق والتسـامح والعفة والزهد. فمن أقـواله: «سمعـتم أن قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فـأقول لكم: لا تقاومـوا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فـحول له الآخر أيضًا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين» (١)، وفى قوله كذلك: «قد سمعتم أن قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلا مـستوجبا الحكم، ومن قال لأخيـه رقا "وهى كلمة سب أو لعن" يكون مسـتوجب المجمع، ومن قـال: يا أحمق يكون مـستوجب نار جـهنم، فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أنه لأخيك شيئًا عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعـال وقدم قربانك كن مرضيًا لخصمك سريعًا ما دمت معه فى الطريق. ويقـول: «قد سمعتم أن قيل للقدماء: لا تزن وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد أتى بها فى قلبه» (٢)، وسمـعت الدنيا وتسمع فى مطلع الـعام الميلادى أنشودة المـسيح التى رددها على جبـال القدس وتجاوبت معـه الدنيا فى قوله المجـد لله فى الأعالى - وعلى الأرض السـلام - طوبى لصانع السـلام» هذه الأقوال أكـبر قـاعدة يرتكز عليـها الـسلام الاجتماعى لأن عيسى عليه السلام رسول عظيم وهكذا يكون هدى السماء لأهل الأرض ليتعايش الناس على أرض ثابتة بقلـوب آمنة ليكون الخير للناس أجمعين. إن وحى الله إلى أنبيـائه دعوة إلى السلام، لهذا نرى أن دعـوة سيدنا محـمدًا ﷺ وهو خاتم الأنبياء نادت بالسلام، لأنه اسم من أسماء الله الحسنى: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ**

(١) إنجيل متى - الإصحاح الخامس من ٣٨ - ٤٠.
(٢) إنجيل متى الإصحاح الخامس ٢١.

﴿ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ [1] كما أن الجنة التى وعدها الله للمتقين هى دار السلام، يقول الله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] كما أن تحية الله للمؤمنين يوم القيامة السلام يقول الحق سبحانه: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾[3] .

والسلام هو تحية الملائكة للصالحين عندما يلتقون بالأخيار الأطهار الذين قال عنهم ربنا سبحانه: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] ، كما أن السلام تحية الملائكة لأهل الجنة عندما يدخلون على المتقين الأبرار من أبواب الجنة فتكون التحية هى: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[5] ، ونداء الله إلى الذين آمنوا برسالات الأنبياء أن يدخلوا تحت راية السلام فيقول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[6] ، والسلام هو تحية المسلمين فيما بينهم فلقد سئل رسول الله ﷺ فقال السائل: يا رسول الله إى الإسلام خير؟ فقال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[7] ، وقال عليه الصلاة والسلام: «أفشوا السلام تسلموا»[8] ، وقال عليه الصلاة والسلام: «يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والماشيان أيهما بدأ فهو أفضل»[9] ثم إن الصلاة التى هى صلة العبد بربه أولها التكبير وآخرها التسليم - السلام عليكم - ومن حيانا بالسلام الذى هو تحية المسلم للمسلم لا نتهمه بالكفر بل علينا أن نقبل منه السلام يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[10] .

فالسلام مبدأ مهم جدًا من مبادئ الإسلام الذى هو من عند الله، وقد كلف الله بذلك كل الرسل لكنه سلام الأقوياء، وليس سلام الضعفاء، إنه سلام من يملك قوته ويخطط بعقله ويعمل بيده ويبذل جهده ويصنع ما يحتاجه وينادى على الناس جميعًا: تعالوا إلى كلمة سواء، لى دينى ولكم دينكم، لا نسخر من بعض ولا يعتدى أحدنا على الآخر، ولكن من اعتدى علينا فلا يلومن إلا نفسه.

---

(١) الحشر: ٢٣ . (٢) الأنعام: ١٢٧ . (٣) الأحزاب: ٤٤ .
(٤) النحل: ٣٢ . (٥) الرعد: ٢٣ - ٢٤ . (٦) البقرة: ٢٠٨ .
(٧) رواه البخارى. (٨) رواه ابن حبان. (٩) رواه البزار.
(١٠) سورة النساء: ٩٤ .

إننا نسمع بين الحين والحين أن الإسلام انتشر بالسيف وكم أراق من دماء وأزهق الأرواح، هذا الكلام يكذبه الواقع ولم يقم عليه دليل وإنما هو افتراء.

فالحرب فى الإسلام دفاعية وليست إنشائية فقد كان المسلمون يدافعون عن دينهم ووطنهم وعرضهم ومالهم. . فسيدنا محمد ﷺ مكث فى مكة أكثر من ثلاث عشرة سنة وهو يدعو إلى الله، وأهل الباطل يسخرون منه ويعذبون أصحابه ويفرضون عليهم حصاراً سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا ومع ذلك لم يرفع عصى فى وجه أعدائه وكان يردد: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» فلما هاجر خرج المشركون بخيلهم وخيلائهم وعدتهم وعتادهم يتتبعون خطاه يطاردونه يريدون هدم المدينة وتشريد المسلمين وأسر نسائهم وسبى أطفالهم، فكان رسول الله ﷺ يخرج لصدهم ودفعهم، ومع ذلك فأكبر معركة هى غزوة أحد وقد سقط فيها سبعون شهيدًا وفى غزوة بدر قتل من المشركين مثلهم، أين هذا مما قرأناه عن الحرب العالمية الأولى والثانية علاوة على أنباء الجيوش الزاحفة من بلادها إلى بلاد لم ترفع عصا ولا أمسكت بمدفع ونقرأ ان القوى يريد السيطرة والهيمنة على مقدرات البلاد والعدوان وإشعال الحروب الدامية إشباعًا لرغبة عناصر سيئة وإرضاء لأطماعهم غير مكترثين لما يحل بالبلاد من نكبات وأطماع وفتن عمياء، وصارت الحرب لإرضاء غرور فرد أو طيش عنصرى ثم يقتل فى اليوم الواحد أكثر مما قتل فى غزوات رسول الله ﷺ كلها وسراياه، ولعل ما يجرى فى العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان أكبر شاهد على ما نقول وخير دليل.

الإسلام دين سلام يدعو إلى الرحمة وينادى على الإنسانية كلها: اعلموا أن الراحمين يرحمهم الرحمن - واعقلوا قول نبيكم ﷺ: **«ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»**.

ومن أسماء الله الحسنى الذى أرسل رسوله بالهدى - أنه هو الرحمن الرحيم فى ظل هذا المناخ انتشر الإسلام بالكلمة الهادية والموعظة الحسنة والعفو عمن أساء إلى نبى الهدى ومن آمن به، ودعوة الإسلام «صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، واعف عمن ظلمك، وكن كريم النفس سخى اليد، تتعامل مع الناس بذمة وشرف وضمير حى وترحم كل من له نفس يتردد حتى ولو كان حيوانًا».

التعايش مع الآخرين

الإسلام دين يعترف بكل الأديان السماوية السابقة ويحترم دعائها ويأمر أتباعه أن يؤمنوا بهؤلاء الرسل وكتبهم لهذا يقول الحق سبحانه : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾[1]، وأتباع الأنبياء لهم الاحترام والتقدير إن عاشوا بيننا لأنهم أهل كتاب وقد وجه القرآن النداء إليهم أن يتعايشوا بسلام فى المجتمع مع كل من يعبد ربه على حسب شريعته، يقول الله سبحانه : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[2].

وينبه المسلمين أن من يعيش معهم على غير دينهم لا يكره أبدًا على اعتناق الإسلام، وإنما نتعايش مع المواطنين المخالفين لنا فى العقيدة بالألفة والمودة والتسامح والعلاقات الإنسانية النبيلة .

يقول الله معلما لنا : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[3] ، ويقول سبحانه : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (4) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)** ﴾[4]، ولم يكن هذا الكلام نظريًا وإنما طبقه رسول الله ﷺ عمليًا فعندما هاجر من مكة إلى المدينة كان بها اليهود فوضع رسول الله ﷺ أسس المجتمع الجديد على دعامات قوية من حب الناس والاختلاط بهم ومشاركتهم فى مجريات الأحداث وليس من بأس أن يشتغل غير المسلم عند المسلم والعكس، ولك أن تتأمل فى هجرة النبى ﷺ فكان قائده مشركًا، لكنه أمين وفطن وليس هناك غضاضة فى ذلك أبدًا لأن السلام الاجتماعى كان ينتشر بين الناس، إن المسلمين يقبلون أتباع الأديان الأخرى بينهم ويرفضون إكراه أحد على ترك دينه أو

---

(1) البقرة: ٢٨٥ . (2) آل عمران: ٦٤ . (3) البقرة: ٢٥٦ . (4) الكافرون: ١ - ٦ .

ملتـه، ويتعايش المجـتمع من مـسلم وغيـره على أرض مشـتركة بمودة وتـعاطف وتسامح ومعاملة طيبة. ولقـد عاهد رسول الله ﷺ يهود يثرب وأقرهم على دينهم وممارسة شعائرهم وعـدم التعرض لأموالهم وتجارتهم وكتب بذلك صحـيفة شهد التاريخ بأنها أعظم وثيقة تاريخية يشهـد العالم أجمع بسماحة الإسلام وقبوله لأى شخص أن يتعايش بالحب ويحظى به بين المسلمين بلا حـرج. ولقد استطاع اليهود أن يستمتعوا بحريتهم الدينية مع ضمـان قضاء مصالحهم وممارسة أعمالهم فى حرية تامة دون مصـادرة حرياتهم، وقد كتب سيـدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاهدة مع المسيحيين الذين كانوا فى بيت المقدس عند فتحه على أيدى المسلمين، وهى معاهدة تشهد بما فى الإسلام من قيم نبيلة تحث على التعايش السلمى مع الآخر وقبوله، فقد أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينـتقص منها ولا مـن غيرها ولا من صلـيبهم ولا شىء من أمـوالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم. إن الواقع يشهد أن الإسلام ينظر إلى من عاهدهم المسلمون من اليهود والنصارى على أنهم قد أصبـحوا من الناحية السياسية والاجتماعية نسيـجًا واحدًا مع المسلمين لأن الدين لله والوطن للجميع وكل من له حق عليه واجب، وضمانًا لذوبان الفوارق وقتـلا لمشاعر الفرقة أباح الإسلام لنا أن نأكل طعامـهم وأن نتزوج منهم ويكونون بهذا أخوال أبنائـنا فيقول ربنا سـبحانه:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(1).

إن الإسلام يجمع بين العبادة والمعاملة، والعـقيدة والسلوك والقيم الاقتصادية والقيم الاجتماعية لأنه عدالة إنسـانية شاملة، والحياة فى نظر الإسلام تراحم ومودة وتعاون وتكافل بين أفراد المجتمع بكل فئاته وطوائفه، وقد قرر الإسلام مبدأ المساواة الإنسانية، ومبدأ العـدل بين الجميع ثم ترك الباب مفتوحًا للتـفاضل بالجهد والعمل

(1) سورة المائدة الآية: 5 .

حسبما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[1]، إن ما نقوله عن الإسلام ليس بدعًا ولا جديدًا نبتكره، إنما هى حقائق الإسلام الذى أمر برعاية أهل الذمة الذين يتعايشون معنا ومن يأت من الخارج إلى بلادنا بتأشيرة من سفاراتنا فقد أصبح فى عهدنا وذمتنا وعلينا أن نصون له العهد ونرعى له الذمة. لأن الله تعالى يقول: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[2]، إن الإسلام يؤكد على المبدأ العام الذى قامت عليه الشريعة السمحاء من الإخاء الإنسانى القائم على العدل والحق والإحسان، لكن إذا شن غيرنا حربا علينا بدون سبب وإنما هو البغى والعدوان فعلينا أن نقاطعهم ولا نزورهم زيارة محبة ولا نجالسهم لقول الله سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[3]، وعلينا أن نصدهم عن البغى بقوة حتى ينصاعوا إلى الحق والتزام الطريق السوى واحترام الآخرين، يقول الله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** ﴾[5]، هذا هو الإسلام دين سلام - دين قوة - دين حب - لكنه يوصى باليقظة وإعداد العدة، وأن تكون العين يقظة مع أخذ الحذر فإن الله يمنح نصره للصادقين العاملين بجد، الذين يرفعون غصن الزيتون بيد، وبالآخر مدفعًا واليد على الزناد، حتى لا يستهان بالإسلام واتباعه وقد نبههم بقوله: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾[6].

---

(١) الحجرات: ١٣ . (٢) الممتحنة: ٨ . (٣) الممتحنة: ٩

(٤) البقرة: ١٩٣ . (٥) البقرة: ١٩٤ . (٦) الأنفال: ٦٠ .

الحــوار

نختم هذا البـحث بنبذة عن الحـوار ، لأنه مهم فى مجـتمعنا المعـاصر ، الذى أصبـح الكل يرفع صوته على الكل بلا داع ، لذلـك بات مقـررا غياب الفـهم لأن الواحد لم يسمع مـن الآخر وليس هناك تفاهم ، تجلس أمام التليـفزيون ترى حوارًا بين أربعة أشخـاص - أقل أو أزيد - الكل يتكلم والكل يرفع صوته والقضـية التى تناقش لم يفهم أحد مضمونها ، تتكلم من التاجر فيتكلم فى الهاتف ويقول لك : أنا سامعك ، تطلب حلاوة فيأتيك بنوع من الجبن ، تقول : أنا لم أطلب هذا يرفع صوته ويحلف أنك طلبت هذا وقس على ذلك كل أمور حيـاتنا لذلك ونحن نتحدث عن العمل الاجتماعى فعلينا أن نتعلم أدب الحوار ؛ إذا تكلم شخص أنصتنا له ، وفهمنا مـراده وإن أردنا أن نقاطعـه ، نرفع أيدينا ننبـهـه إلى أنه يتكلم فى شىء آخـر غيـر المطلوب أو أننا فهـمنا مراده ، ونتعلم أسلوب الحوار ، فإذا تكلـم أحد أنصت الثانى ولا داعى لما نحن فيـه من رفع الصوت لأن هذا أسلوب غيـر حضارى ، وقـد عاب القرآن على من يـرفع صوته بلا داع فيـقول : ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾[1] ولأننا بشر علينا أن نتعلم أفضل أسلوب لنقل معـلوماتنا وتبادل الآراء فـإن حسن الاستـماع خيـر زاد للوصول إلى معـرفة الحقيـقة ، لهذا كـان الحوار هو أفضل أسلوب يتـخذه الإنسان منهـجًا لنقل معلوماته إلى غيره . . لأنه وسيلة اتصـال فى تبادل المعلومات بين اثنين أو أكثر ولقد عُرف الحوار منذ قديم الزمن لأنه وجه من أوجه الحرية فى التعبير عن الرأى ووسيلة إقناع . . وقد يكون الحوار مباشرًا بين اثنين وهناك جمهور يستمع لحوارهما . . وقد يتم الحوار بين أكثـر من اثنين كما هو الحال فى ساحة البـرلمان . . أو فى جلسة عمل لوضع خطة . . وقد يكون بوسـائل اتصال مثل (الهاتف أو الإذاعـة ، أو التلفاز) أو عبر صفحات الصحف والمجلات كـالرد على الجماهير فى أسئلتهم . . فالحوار من هذا المنطلق هو فن إعـلامى اتصالى وتطبـيقى . . وهو لغـة كل عصـر . . وأفضل أسلوب يتخذه الإنسـان منهجًا لنقل معلوماته إلى غيـره . . لذلك أصبح لزامًا علينا

(١) سورة لقمان الآية : ١٩ .

أن نتعلم أسلوب الحوار الذى يتسم بالمرونة وعدم التـعصب للرأى والبعد عن الجدل العقـيم الذى لا يُؤصل معلومـة ولا يُصحح فكرة ولا يوضح حـقيـقة . . لذا بات مقـررًا أنه لا بد من صحـوة مُرشدة بعـقول مفكرة تضع الأولـويات لحوار يزيد من المعرفة الثقافية ويؤكد على القيم النبيلة ويكون الهدف من وراء ذلك هو تعويد الناس لغة التخاطب السليمة التى تقضى على التعصب وتزيل الجهل وتقلل من الصراعات التى تنشأ بسبب عدم الفهم لما هو مراد . . .

هـدف الحـوار

للحوار أهداف يرتكز عليها أهمها:

١ – تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين .

٢ – تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع حـتى يتزود الفرد بالمعارف والأفكار والقيم والعادات والأنماط السلوكية المختلفة .

٣– للحوار دور فـعال فى نقل التـراث الثقـافى من جيل إلى جيل مـع تنشيط المعلومات وتحديثها .

٤ – نقل التجارب من بيئة لبيئة والاستفادة منها (تبادل الخبرات الإنسانية) .

من هنا كان للحوار أهمية كبرى فى حياة البشر لأنه يهدف إلى أمور عظيمة فيها خير للبشر وصلاح للمجتمعات . . . . . . وفى ذلك فائدة كبيرة . . . . الأمر الذى يجعلنا ننبه لأهمية الحوار فى وقتنا المعاصر . . . .

حـوار الحضـارات

الحضارة هى نتـاج تخطيط فكرى . . وعمل بدنى . . لتخطيط منـضبط وعمل منظم . . . والمجتمع الإنسانى قامت عليه حضارات منذ أن هبط آدم إلى الأرض إلى يومنا هذا . . . لأن يد البناء والتعمير مع التفكير السليم والتخطيط المبتكر والتجويد فى الأداء – كل ذلك يتـلاقى للعـمل بجـد وإخـلاص فى بناء صـرح الحـضـارة الإنسانيـة . . . والذى نعيش فيه اليـوم من تقدم وابتكار فى أساليب متنـوعة لأمور تخدم الإنسانية وتسهل أمـامها الاستمتاع بالحياة فـى جو من الرفاهية يسوده الأمن

والاستقرار ، كل ذلك بدأ فيه عمل أجيال وأجيال حتى وصلت الإنسانية إلى ما نحن فيه من تقدم فى كل مناحى الحياة ، وسوف يشهد المجتمع الإنسانى تقدمًا رهيبًا فى كل المرافق التى تخدم المجتمع الإنسانى . . . لأن الأرض سوف تأخذ زينتها أكثر وأكثر حيث أشار ربنا إلى ذلك وهو أصدق القائلين : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] .

والمسلم الذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله مُطالب أن يحافظ على تراث الإنسانية وأن يدرس هذه الحضارة من كافة جوانبها . . . السياسية . . الاجتماعية . . التعليمية . . الاقتصادية . . وأهم ركيزة فى بناء الحضارة هو الدين بقيمه النبيلة وأخلاقه الفاضلة ، ثم إن دراسة المناخ العام للتعرف على أسباب قيام هذه الحضارة ونهضتها أمر مهم جدًا لنتعرف من خلال الدراسة على العوامل التى أدت إلى ضعف أرباب هذه الحضارة والأسباب التى حالت دون نموها ثم أسباب اندثارها . . من هنا كان للحوار أهمية عظيمة لأنه من خلال الحوار نتبين مراد الحق سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[2] ، ويقول سبحانه : ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ** ﴾[3] . . . إن الإسلام يُرغبنا فى الحوار وينهى عن الصراعات . . لأن المسلم مُطالب . . أن يتعرف على الاتجاهات الاجتماعية لرأى الغير . . ويعرف رأيه . . خاصة وأن الإسلام يقر التعددية . . ويتعايش فى تناغم ومودة مع أى حضارة وأى فكر وفى أى موقع ، ذلك لأن المسلم الفاهم لأمور دينه عنده حصانة تحميه من أن يذوب فى أى مجتمع . . لأن سلامة العقيدة وقوة اليقين والمحافظة على العبادات كل ذلك يقوى عزيمته ويشد أزره ولأن ثقافته فى الدين واسعة لذلك فهو يؤمن أن من وراء هذا الحوار خدمة لدينه واقناع الناس به عن جدارة . . إن بعض الناس يعتقدون أن الحوار لا يؤدى غرضًا . . لكن هذا فهم خاطئ لمجريات الأحداث . . . فالقرآن الكريم وهو أصدق كتاب ذكر لنا أنبياء الله الذين حملوا وحيه إلى خلقه ، كل نبى حاور

(١) يونس : ٢٤ . (٢) آل عمران : ١٣٧ . (٣) إبراهيم : ٤٥ .

قومــه وأقام عليهم الحــجة بأسلوب مهــذب ولغة واضحــة لذلك رأينا أن الحوار له أهمية عظمى فى ترسيخ القيم الأخلاقية وهو بلا شك أفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجًا لنقل معلوماته إلى غيره . . . .

فكــر خاطــئ

نظرًا لأن المسلمين لم يحسنوا مخاطبة غــيرهم ومحاوراتهم وتقديم الإسلام إلى المجتمع الدولى بصورته الجميلة وأحكامــه العادلة ونظرته الشمولية إلى الأشياء ، لأن الإســلام يحث أتباعــه ويرغــبهم على الــعلم بكل اتجاهاتــه وتملُّك زمام المبــادرة فى استصلاح الأراضى واستخراج المياه الجوفية والانتفاع بما فى الكون - فأدى غياب هذه المعلومات إلى أن العالم الدولى بدأ ينظر إلى الإسلام نظرة مــريبة وهى نظرة خاطئة ، فالعيب فــيمن يقدم الإسلام بعواطف ميــتة ، وجهل بأهم مبادئه من اليســر والتسامح والعدل والمســاواة وعدم الإعتــداء على الآخرين وعدم ظلم المرأة ورفع شــأنها ، ومن يدرس الإسلام يعلم أنه ليس فيه عيب أبدًا لأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان .

فالعيب فى سوء الــفهم الذى نشأ فيمن قدمــه بجــهل ، بالإضافة إلى أن أعداء الإســلام شوهوا مــا فيــه وألصقــوا به بعض الأمور وقــد أدى ذلك إلى سوء فــهم الإسلام والنظرة الخاطئــة إلى معتنقيه . . ثم إن الإعــلام الذى أصبح لا يتوقف عن البث المسموع والمرئى لم يفسح المجال للعلماء المتميزين بأصالة الفكر وغزارة العمل أن يقدموا مــا لديهم لأنهم غير مرغوب فيــهم كما يقول المشرفــون على المؤسسات الإعلاميــة . . وترتب على ذلك أن تقدم من لم يُحسن عــرض الإسلام . . وراجع ذلك إلى عدم قــدرة المؤسسات الإسلاميــة على الاتصال بالجهات المعنــية بالإعلام وتقديم البــرامج المرشدة المعــدة بإتقان وبلغــة كل الناس مع جمــال اللفظ ووضوح المعنى وعذوبة الكلمات ورقتها . . إنه ليس بعيب أبدًا أن نواجه عيوبنا ونعلن أننا فى حاجة ماســة إلى إعادة صياغة العقــل وترتيب الأولويات والتدريب على فن الحوار ونحن أمة مــا أكثر الجامــعات التى تقع على أرضها . . لــكن علينا أن نطالب بإعادة النظر فى المناهج التــربوية التعليــميــة لأن الواضح من المنهج أنه مليء بالحــشو دون المضمون . . الأمر الذى أصبح واضحًا أن عــقول المسلمين باتت محشوة بمعلومات

لا تُسمن ولا تغنى من جوع حيث إن الكثيـر منهم يحفظ عناوين الأغانى وواضعو موسيقـاها وعناوين المسرحيات والأفلام وأسماء الراقصين والراقـصات . . فإذا ما سألت بعض المسـلمين عن أسماء الرمـوز الإسلاميـة التى وضعت مفـاتيح العلم وأرست دعائم النهضة الحضارية وأسهمت بنصـيب وافر فى تنوير العقول وتثقيفها ترى أن كل ذلك غـائب عن عقول الكثـير من المسلمين . . الأمـر إذًا يتطلب وضع خطة ملائمة لإعادة صياغـة العقل الإسلامى وترتيب الأولويات ولذا بات مقررًا أن المسلمين اليوم مُطالبون أن يُهـيِّئوا أبناءهم للمستقبل لأنهم غـدًا قادة الوطن وحماته وأرباب الفكر فيه مع إدراكنا بأنه لكل زمان رجـاله . . وأن الأبناء خُلقوا لزمان غير زماننا . . إن الحوار الاجتماعـى له أثره الفعال لأن المسلم ينزل إلى حلبة الحوار وهو شامخ الرأس فبين يديه حـضارة تعاملت مع جميع الأجناس بالتـسامح والإنصاف والعدل مع الاعتراف بكل جهد بنى حـجرًا فى صرح الحضارة . والإسلام لم يغفل أن الخلاف طبيعة البشـر لكنه يؤكد على أنه لا يصح إلا الصحيح ولا يدوم إلا الحق وصدق الله العـظيم حين قال : ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ** ﴾(1) . ونحن لا نلوم أهل الباطل على تحركهم ، لكـننا نلوم أهل الحق على تخاذلهم . لهذا وجه الإسـلام أتباعه إلى أسلوب حسن متـميز نطلق عليه (فن التـعامل مع الجماهيـر) لأن بقاء أى أمة رهين بتآلف القلوب وهى لا تأتلف إلا على الحق لأنه ما كان للـه دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل . . والنـاس لو اختلفوا فتـحاوروا فيـما اختلفوا فـيه بدافع من الحـرص على إظهـار الحق . . وعدم اتبـاع الهـوى لبـات كل عن أخيـه راض لأن الاختلاف وعدم الانصـياع إلى الحق والتعصب الأعمى للرأى وافتـقاد الحوار البناء والبعـد عن آدابه وأخلاقياته يؤدى إلى التـفرق والتمزق وسـقوط الدولة نتيـجة ما أصـاب أبناءها لهـذا قـال الحق سبـحـانه : ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾(2) ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾(3) .

---

(1) الرعد : ١٧ .　(2) الأنفال : ٤٦ .　(3) الروم : ٣١ - ٣٢ .

إنه لكى نرد على افتراءات ومزاعم الذين يسيئون إلى الدين وفهم مراميه وأهدافه وعلمائه وأتباعه علينا أن ننهض نهضة مُرشدة لأننا نمتلك أعظم ثروة؛ إنها كتاب الله سبحانه الذى نزل على أمة متفرقة فوحد صفها وعلى أمة لا كيان لها فجعلها خير أمة أخرجت للناس وعلى أمة متصفة بالأنانية فغير أخلاقها وجعلها أمة رائدة فى الإيثار . . إن القرآن نزل على أمة جاهلة فتعلموا منه فن الحياة فأصبحوا علماء حكماء إنساحوا فى الدنيا ومعهم كتاب الله وهدى رسوله فأضاءوا ظلام المجتمع الإنسانى وتحول هؤلاء من رعاة غنم إلى قادة أمم ومن مجتمع متخلف إلى مجتمع يسود العالم بالحكمة والعقول المتفتحة والسماحة واليسر، ولأصالتهم لم يذوبوا فى أى مجتمع فتحوه لأن فيهم حصانة دينية وعزيمة قوية واستيعاب لأى حضارة ومقارنتها بما يهدف إليه الإسلام ويبتغيه فوجدوا أن ما فى الإسلام أعظم وأكمل وأحسن لأنه صبغة الله وهديه إلى خلقه . . ولك أن تعجب أن المسلمين عندما انساحوا فى الأرض وفتحت لهم الشعوب أبواب بلادها لم يحاولوا طمس هوية الشعوب ولا العمل على إذابة شخصية أفراد البلاد المفتوحة ولا القضاء على أى حضارة ولا تشويه أى لغة وإنما تعاملوا بالعدل والإنصاف والرحمة والعطف وقرؤوا على سمع الزمن كل ما تعلموه من توجيهات القرآن الكريم وهدى النبى محمد ﷺ فقد قال الحق سبحانه معلمًا المسلمين أن يقولوا لغيرهم فى حوار يتسم بالموضوعية وعدم الخروج عن الموضوع المطلوب شرحه وتوضيحه: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾(1)، فى نفس الوقت تعامل المسلمون بالتسامح مع أتباع أى ملة أو إذا تمسك الناس بأى عقيدة فلا إكراه لأى أحد على تركها واعتناق الإسلام وإنما علم الإسلام اتباعه أن يقولوا: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾(2) . . ويعلم المسلمين كذلك أن يقولوا لغيرهم: ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ إن الناس عليهم أن يتعايشوا مع بعضهم فى أمن وسلام ليتمكنوا من إسعاد

---

(1) آل عمران: ٦٤ . (2) الكهف: ٢٤ .

أنفسهم وإدخال السرور على الجميع . . لهذا وجه الإسلام عناية أتباعه إلى الحوار وضرب لنا الكثير منه فى القرآن الكريم الذى هو ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[1]، فى نفس الوقت . . . ﴿ **فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[2]، لأنه فيه نبأ من قبلنا وخير من بعدنا وحكم ما بيننا . . هو الفصل ليس بالهزل . . من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم . . لقد أرشد الله المسلمين أن يتخيروا فئة من بينهم ؛ هذه الفئة تعكف على دراسات ما يجرى على ساحة المجتمع الدولى . . بعد أن يُقسم المجتمع الدولى بحسب لغاته . . ثم يتخصص كل فريق فى دراسة بيئة معينة مثل . . . المناخ الاقتصادى . . الحالات الاجتماعية . . الاتجاهات السياسية إلى غير ذلك مما تلزم دراسته مع دراسة السيرة النبوية وتاريخ المسلمين طوال فترة المرحلة التاريخية وما هى العقبات التى صادفت الإسلام فى مسيرته . . والتهم التى ألصقت به والافتراءات التى روجها أعداء الإسلام ضده، وكل ذلك يسبقه حفظ القرآن الكريم حفظًا جيدًا مع معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والإلمام بمدارس علماء التفسير والمذاهب الإسلامية وكيف نشأت والفرق والملل والنحل التى ظهرت وقامت فى المجتمع الإسلامى والأسباب الخفية التى كانت وراءها والأيدى المحركة لها . . . وهذه الفئة تعكف على دراسة كل ذلك ثم تنطلق باسم الله هادية داعية باسم الحق ومن أجل الحق وشعارهم : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[3]، وإرشاد الله للمسلمين لتكوين هذا الفريق قوله سبحانه : ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[4].

وبهذا الأسلوب الذى أرشدنا إليه القرآن ونبهنا إلى أن ننتهجه حتى نقوم بتوصيل رسالة الله إلى خلقه لأننا الأمناء عليها . . . وإذا نحن حافظنا على هذه الأمانة وأدينا الواجب لها كما هو مطلوب نصرنا الله وأيدنا، وعلى طريق الخير

---

(1) هود : 1 .
(2) البقرة : 2 .
(3) النحل : 125 .
(4) التوبة : 122 .

والحق ثبت أقدامنا لأنه سبحانه القائل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]، أما إذا تخاذلنا عن أداء الواجب لنصرة دين الله والنهوض به فالأمر فى القرآن واضح. . لأن الحق لا بد أن يكون له رجال فى كل زمان ومكان عندهم صدق عزيمة لنصرة دين الله ولديهم عهد من الله يتمسكون به. . فإن تغير الحال وتبدل فهم على الحق ثابتون فقد قال الحق سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[3] لهذا نحن نهيب بالمؤسسات الإسلامية وبالغيورين على دين الله أن يتفقوا ولا يختلفوا، ويتعاونوا على البر والتقوى. . وأن يجعلوا الحوار مبدأهم وهدفهم وتصحيح مسار الإنسانية غايتهم، كذلك وأن يتصفوا بالسماحة والعدل ومكارم الأخلاق لأن تأثير أفعال أى مسلم فى قلوب سامعيه أعظم أثرا من قوله، لذلك قيل: (فعل رجل فى ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل).

إن الأب عليه أن يعلم أولاده فن الحوار، والمدرس كذلك مع تلاميذه، ونشر ذلك فى المساجد ليقوم كل بدوره فى أداء الواجب عليه ليعم النفع ويتحقق المراد من الحوار وأهدافه.

وعلى المثقفين أن يكونوا قدوة صالحة وأن ينصتوا إذا كان متحدث يتحدث ليقتدى بهم الغير، فإذا كان ثلاثة يتحدثون فى وقت واحد، ولم يفهمهم أحد، فالخلل فينا والعيب منا، ولا نلوم أهل الباطل لعدم فهمهم لنا لكننا نلوم أنفسنا لعدم الالتزام بالحوار وأهدافه، والحوار وآدابه، والحوار وفوائده. .

---

(١) محمد: ٧ .
(٢) الحج: ٤٠ .
(٣) محمد: ٣٨ .

الخاتمة

لا شك أن الإسلام هو خاتم الأديان السماوية وأن القرآن خاتم الكتب السماوية، وأن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم الرسل والأنبياء.

لهذا كان الإسلام هو أعظم منهج للعمل الاجتماعي فمن يحرص على تقديم أي خدمة لأي شخص سوف يجد الدافع لها من كتاب الله وهدى رسوله العظيم سيدنا محمد ﷺ القائل: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً؛ كتاب الله وسنتى»، إن من يرغب فى العمل الاجتماعى عليه أن يقرأ القرآن ويقرأ فى سيرة سيدنا محمد ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين وتاريخ أمة الإسلام لأنها الأمة التى سمت بالعمل الاجتماعى وارتقت به وبنت حضارتها على أسس قوية من الخدمة التطوعية والعطاء بلا حدود، وكان المسلمون يعملون بدافع دينهم وهدى نبيهم، لذلك أسسوا حضارة اقتبس منها العالم أجمع وبقيت مضيئة منيرة مشرقة تشع بالخير والعطاء فى كل لحظة من لحظات التاريخ وأيام العمر الإنسانى.

إننا نرجو لشبابنا أن يكونوا حسنى الظن بدينهم وأن يؤمنوا بأن حملة التشكيك لن تنقص منه، والمشككون ينطبق عليهم قول القائل:

وناطح صخرة يومًا ليوهنها ... فعاد من نطحه والرأس مكسور

وفى نفس الوقت على شبابنا أن يهتموا بقراءة تاريخهم وأن يعلموا أن اليأس من الوطن يفقد الكرامة واليأس من النفس يفقد الهمة، والأمل شيء عظيم يسمو بالنفس ويعلو بالهمة ويدفع إلى العمل والإنتاج والابتكار فى أسلوب الحياة وكل ذلك يؤدى إلى الارتقاء حتى يرقى مجتمعنا فى سلم المجد والعزة والكرامة، وسوف يتحقق لنا ذلك إن شاء الله إن كانت عندنا العزيمة القوية والهمة العالية مع الإيمان بالله الخالق القادر. وما ذلك على الله بعزيز.

وفقنا الله لكل خير وهدانا سواء السبيل.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن
اهتدى بهديه وعمل بسنته إلى يوم الدين

منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف الأسبق
ورئيس مؤسسة أولاد عبيد الخيرية

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

المؤلف فى سطور

- **الشيخ / منصور الرفاعى عبيد**
- ولد فى قرية محلة زيّاد / مركز سمنود / محافظة الغربية عام ١٩٣٢ .
- درس بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر..
- عمل بوزارة الأوقاف وشغل العديد من المناصب وآخرها.. وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن.
- له إسهامات متعددة فى النشاط الاجتماعى من خلال الجمعيات الخيرية، خاصة فى جمعية منع المسكرات ومكافحة المخدرات.
- متحدث بالإذاعة والتلفزيون وله مقالات بالمجلات والجرائد..
- مشارك فى كثير من المؤتمرات العلمية فى داخل البلاد وخارجها..
- قدم الكثير من المواد العلمية التى قدمت فى عمل بالإذاعة والتلفزيون.
- مشارك فى كثير من الأعمال الشعبية ولجان المصالحات..
- سافر إلى الكثير من دول العالم لحضور المؤتمرات العلمية..
- عضو بالمجالس القومية المتخصصة شعبتى الرعاية الاجتماعية والشباب والرياضة..
- عضو اتحاد الكُتّاب.
- عضو مجلس الشعب فى دورات سابقة..
- ورد اسمه فى الموسوعة القومية للشخصيات البارزة والتى صدرت عن هيئة الاستعلامات عام ١٩٨٩ ..
- حاصل على الكثير من الدروع والميداليات وشهادات التقدير من هيئات وجامعات ووزارات، والميدالية الذهبية فى الدعوة الإسلامية من مؤسسة آل العزائم.
- حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- له أكثر من ثمانين مؤلفا.

رقم الإيـــداع :
٢٠٠٦/٢٣٦٤٤
الترقيم الدولى :

977 - 294 - 379 - 4